مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد

ذو القعدة ١٤٠٨هـ ـ حزيران ١٩٨٨م

رواية مصنفات الحافظ أبي بكر الخطيب في العدوتين الأندلس والمغرب

الأستاذ عبد الرحمن الفاسي

إن من المرقصات المطربات لطالب علم يرى حظوة المعرفة فوق كل حظوة وكل اعتبار ، أن يتلقى الدعوة الكريمة من المجمع العلمي بالعراق ، لموسم لقاء محدث بغداد ، ومؤرخ العراق والشام ، الحافظ أبي بكر الخطيب ، الذي سار ذكره مسير الشمس ، وانتظم ناحية الشرق والغرب ، وإن حظّي ليزكو لهذه البهجة وذلك الطرب ، حيث قدّر لي أن أشارك بهذا الفصل أعلاماً جلة ، شرفوني أمس بالانتماء الى هذه الساحة ، واعتدّوا اليوم بكلمات يأتي بها من أقصى المغرب من يعزم التحدث عن شخصية علمية من أجل وأعظم رجال الفكر الإسلامي في المشرق ، ولن أخادع الحقيقة في اعتقادي ، فموقع الإجادة في مثلها ، مما يعز على غير أساتذة بغداد ، فأين أنا من إفادة تُذكر ، أو قول يعتبر ، ولست في هذا المجال — وأيم الله — غير ذاك الذي استبضع التمر الى هجر .

ولئن كان ورد الفكر العربي نبعاً مشاعاً بين جميع من نطق بالضاد ، فان أهل دار السلام ، والمربعين على شاطىء دجلة والفرات أوعى للمأثور ، وأدرى بالمكنون المذخور ، فإليهم مَردُّ القول الفصل بالتحليل والنقد ، وبيان وتبيان مسارح ذهنية ذلك الإمام ، والدلالة على ماهو نافذ للطريف الجديد ، وما يخلص منها للتليد ، فيعتد به في التأصيل ، وإقامة ذلك الجديد على أساس من الذاتية العربية مكين .

على أنني لن أشرد عن النبع ، فقد كرعت منه عللا بعد نهل ، ومن يدي الخطيب شربت الكأس الأولى ، وباليمين والشمال احتضنتها ، وان أصداء تنزّل

الرحمات على محدث بغداد ومؤرخها الخطيب ، لتتردد في السمع الآن ، كما كانت تتردد على عهد دراستي في أبهاء جامعة القرويين حين يعرض اسم حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر ، فيبادر شيخ المجلس ليقول : وفي نفس السنة التي توفي فيها حافظ المغرب لقي الله أيضاً أبو بكر الخطيب حافظ المشرق ، وتسري الهمهمة في المجلس بالترحم على الحافظين ، رحم الله الجميع .

وحين يتشعب الدرس الى الهداية والإرشاد ، تنقلب صيغة إملاء الشيخ الى فقرات مرتلة ترتيلا ، وبنبرات خاصة للفت الانتباه الى ما سيروى لنا عن الخطيب صاحب كتاب « اقتضاء العلم العمل » الذي قال : (ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل) (وماشيء بأضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته) .

واذا ما ذكر القاضي عياض أشهر أعلام المغرب وحافظ المذهب ، نبه شيوخنا على اعتداده بمصنفات أبي بكر الخطيب ، وبحرصه على إعلان التنويه بمكانته .

وأدركت من شيوخ فاس الإمام أبا عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (من أسرة صاحب فهرسة الفهارس) المتوفى سنة خمس وأربعين وثلاث مئة وألف، ولم أكن عندها في سن الدرس، وبعدها اطّلعت على بعض مصنفاته ومن أجلّها « الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة » ، ويلفت النظر في كتابه هذا عنايته الخاصة بكتب الحافظ أبي بكر الخطيب ، فهو كلما ذكر مصنفات باب من أبواب الكتب الراجعة الى السنة المطهرة ، يعنى بتسجيل ما للحافظ الخطيب من مصنفات فيها ، وقد ذكر منها أكثر من عشرة مع تعليق على بعضها للتقويم والتنويه ، أو الإشارة الى من جاء قبله بمثلها ، أو من ذيّل عليها ، فحينما ذكر مثلا كتاب « المؤتلف تكملة المختلف » قال فيه : (إن الخطيب وضعه جمعاً بين كتاب الدارقطني وكتاب الحافظ المشهور عبد الغني المصري ، وزاد عليهما ، وجعله كتاباً مستقلا سماه «المؤتلف تكملة المختلف») ، ثم زاد أن الحافظ

المعروف ابن ماكولا زاد على هذه التكملة وضم اليها الأسماء التي وقعت له وجعله أيضاً كتاباً مستقلاً وسماه « الإكمال» ، وتابع التعليق أنّ الحافظ ابن نقطة ذيله بما فاته أو تجدد بعده ، وهكذا ذهب مع سلسلة الذيول الى النهاية .

ولا مراء في أنّ هذا الشافعي العظيم ، قد اقتحم اسمه عنوة أبهاء جامعة القرويين وهي معقل المالكية على مدى الدهور والسنين ، ويتأكد بهذا أن رحابة علم واعية بغداد قد جنبته عندهم كل تأنيب وتثريب ، وحمته من أيّ سهم مصيب أو غير مصيب ، وكأنهم تفرّسوا في سعة أفق نظراته نفس رحابة معرفته ، فاستروحوا من قبله نفحة مالكية بإقباله على التصنيف في الرواة عن إمام مذهبهم مالك ، وبقراءته قطعاً من موطئه بالشام ، في مجالس من سنة إحدى وخمسين واثنتين وخمسين وأربع مئة ، وقد كانت نسخ الموطأ في جملة ما حرص الخطيب على إحضارها معه إلى دمشق ، وذلك لدى خروجه من بغداد بأثر فتنة البساسيري ، وهي التي أطاحت برأس أبي القاسم بن المسلمة وزير القادر ، الذي حسنت صحبته له ، وانسدل عطفه عليه . ونسخ الموطأ هذه مروية من رواية القعنبي ، ومن رواية ابن وهب ، ومن رواية سويد بن سعيد الحدثاني ، ومن رواية معن بن عيسى القزاز ، وكانت مع هذه النسخ نسخة أخرى غير مقروءة ، وهذا الى كتب أخرى مما يدل على اهتمام بالغ باستقراء حتى ما قيل عن مالك في غرائبه ، (كغرائب مالك) لأبي القاسم عبد الله الجرجاني و (غرائب حديث ما لك لدعلج) ، و(غرائب حديث مالك للطبراني) ، و (غرائب مالك لأبي بكر النيسابوري) وكلها من جملة ما حرص الخطيب على أن يرد بها معه دمشق ، وهو التفات متبادل بوجهيه التقديري والنقدي كما سنرى من شأن القاضي عياض مع الخطيب فيما سيأتي . ومردّ ذلك في الحقيقة عند كل منهما الى عواطف الإعجاب والتقدير بكل تأكيد .

وتتشبح مغربية الخطيب في أذهان شيوخنا بروايته « فضائل الصحابة الأربعة على مذهب المغاربة » ، فمن المعروف أنه درس بالجامع الأموي في دمشق

فضائل الصحابة » للإمام أحمد بن حنبل ، و« فضائل العباس » لشيخه ابن زرقويه ، وهي من الكتب التي أحضرها معه إلى دمشق أيضاً .

وتشاء الأقدار أن تسجل لنا نفس الإكبار والإعظام لحافظ المشرق لدى أهل عدوة الأندلس أيضاً . وهذا أبو عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي ، يتولى وضع قائمة الكتب التي ورد بها الخطيب دمشق — وهي كما يقول الأستاذ يوسف العش في كتابه أبي بكر الخطيب — : من محفوظات المكتبة الظاهرية ضمن مجموع تحت الرقم الثامن عشر على الرقم السادس . وبعنوان : (تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من روايته من الأجزاء المسموعة والكبار المصنفة ، وما جرى مجراها سوى الفوائد والأمالي والمنثور) .

ومن المنتظر أن يقع الحافر على الحافر ، وتتحد الرؤية لكل مروي ومسموع بالنسبة الى أهل العدوتين — المغرب والأندلس — وذلك لقرب الشقة ، والانضواء أزماناً تحت راية حكم واحدة ، وظل مذهب واحد ، وعقيدة واحدة ، ومشيخة متحدة ، ومنابع الأخذ في الرحلة الى المشرق واحدة ، ولهذا يبدو أن لأهل العدوتين اهتماماً ملحوظاً برواية مصنفات الخطيب رحمه الله .

وقد نسجتُ هذا الفصل على الروايتين معاً ، وسجلت أولاً طبقة من روى مصنفاته عنه مباشرة ، ثم طبقة من رواها عن تلامذته ، ثم طبقة من روى عن تلامذة تلامذته مع التنصيص على من جمع بين الرواية بالسماع وبالإجازة ، ثم من روى بمجرد الإجازة .

ولعل الحافظ الباجي — وقد تدبّج مع الحافظ أبي بكر — أول من يثب إلى الذهن من رواة مصنفاته ، وأولى من يوضع في ترتيب المتحدثين عنه .

الحافظ القاضي ابو الوليد الباجي(١)
(٤٠٣ ـ ٤٩٤هـ)

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي ، أصل سلفه من بطليوس حاضرة ثغر الأندلس الجوفي ، ثم انتقلوا الى باجة ، ولم تكن أسرته ذات سعة في الرزق ، فلم يجر وراء مهنة تدر عليه الكفاف وبلغة العيش ، وإنما انصرف الى مجالس العلم ، فدرس وسمع على جهابذة عصره ، مثل أبي الأصبغ ، وأبي محمد مكي ، وأبي شاكر ، ومحمد بن اسماعيل ، وغيرهم . وتطلعت همته العلمية المشبوبة الى الأخذ عن علماء المشرق ، وشبابه يؤمنذ في العنفوان ، فرحل الى المشـــرق سنة ست وعشرين وأربع مئة ، وامتدت رحلة الدرس والسماع ثلاثة عشر عاماً ، حيث أقام أولاً بالحجاز ، فحج مرات وسمع ، ثم انتقل الى بغداد فالشام ، وسمع من السمسار ونظرائه ، ثم دخل الموصل حيث درس الأصول على السناني ، وسمع بمصر من أبي محمد بن الوليد وغيره .

وفي بغداد ، أخذ عن الفقهاء كأبي الفضل بن عمروس إمام المالكية ، وأبي الطيب الطبري ، وأبي اسحاق الشيرازي الشافعي ، وأبي عبدالله الدامغاني ، والصيمري ، وجماعة من الفقهاء . وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب ، وروى الخطيب أيضاً عنه ، لماسيأتي تفصيله . ويقول القاضي عياض (إنه حاز الرئاسة بالأندلس ، فسمع منه خلق كثير ، وتفقه عليه خلق ، وممن تفقه عليه أبو بكر الطرطوشي والقاضي ابن شبرين ، وسمع منه أيضاً من أهل الأندلس

---

(١) . أنظر ترتيب المدارك ٨٠٢/٤ – ٨٠٨ ط بيروت ـ الصلة لابن بشكوال ١٩٩/١ ـ ٢٠١ القواصم والعواصم لا بن العربي ط تونس – بغية الملتمس للضبي ص ٢٨٩ – تذكرة الحفاظ ٣٤٩/٣ – وفيات الاعيان ٤٠٨/٢ تحقيق الأستاذ احسان عباس – ابن فرحون في الديباج ص ١٢٠ – ١٢٢ . وفي ترتيب « المدارك » و «الديباج » جملة من مصنفاته وبقية شيوخه – نفح الطيب ٦٧/٢ وما بعدها .

الحافظان أبو علي(٢) الجياني الغساني ، والصدفي(٣) ، والقاضي أبو القاسم المعافري ، والسبتي(٤) ، وابن جعفر المرسي ، وغيرهم) .

وممن أخذ عنه أيضاً حافظ المغرب أبو عمر بن عبدالبر صاحب الاستيعاب والتمهيد وغيرهما ، والحافظان أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن فتوح الحميدي الميورقي الآتي ذكره (٤٢٠ – ٤٨٨هـ) ، وأبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز(٥) (٤٦٣ – ٥٠٥هـ) ، ووقعت بينه وبين أبي محمد بن حزم مناظرات وفصول ، سجل بعضها الحافظ أبو بكر بن العربي في العواصم والقواصم .

ومن القواصم السائرة فيما وقع بينه وبين أبي محمد بن حزم قوله لابن حزم : « أنا أعظم منك همة في طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب . وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق » ، فقال ابن حزم : « هذا الكلام عليك لا لك . لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي ، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرجُ به إلا علو القدر في الدنيا والآخرة » ، فأفحمه .

وبالرغم من هذا الحوار اللاهب فقد روى ابن بسام :« بلغني عن الفقيه أبي محمد بن حزم أنه كان يقول : لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبدالوهاب مثل أبي الوليد الباجي » . وهي كلمة صدق صادرة عن طهارة قلب

---

(٢) . أنظر الصلة : ج ١/١٤٢ – معجم أصحاب الصدفي لابن الأبار ، ٦٩ – تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٣ – الديباج ص ١٠٥ – شجرة النور الزكية ص : ١٢٣ – هدية العارفين : ١/٣١١ – طبقات الحفاظ للسيوطي ص : ٤٥١ .

(٣) . الصلة ج ١/١٤٤ – بغية الملتمس : / ٢٦٩ – تذكرة الحفاظ : ٤/١٢٥٣ – الديباج ص ١٠٤ – طبقات الحفاظ ص ٤٥٥ .

(٤) . أبو محمد عبدالله بن جماح الكتامي السبتي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ وقد كان يستخلفه الباجي في تدريس أصحابه إذا سافر . انظر ترجمته في الصلة ج ١/٢٩٨ .

(٥) . ترجمته في الصلة ٢/٥٦٦ – بغية الملتمس ص ٧٢ – معجم أصحاب الصدفي ١٠٠ – تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٥ – طبقات الحفاظ ٤٥٦ .

ذلك الإمام العظيم الذي لم يمار في أهمية الآثار الحديثية والفقهية التي دفق بها علم الباجي ، كشرح الموطأ المسمى « بالاستيفاء » ، ومختصره المنتقى ، و« كتاب الإيماء» و « مختصر المنتقى » ، و« شرح المدونة » و« أحكام الفصول في إحكام الأصول » ، وكتاب « الناسخ والمنسوخ » . وكتاب « التعديل والتجريح » ، وغيرها(٦) من كتب الفقه والحديث(٧) .

وتلك آثار كانت كافية وحدها لتضفي عليه من جاه العلم وغنى النفس ، وتذهب عنه نكد الزمان ومرارة الحرمان ، ولكن شاء الله إلا أن يبدل عسره يسراً بعدما كان يتبذل في مهنة ضرب ورق الذهب في عقر الأندلس ، فكان يخرج الى الإقراء وعلى يده آثار المطرقة ، مثلما قيل إنه كان في بغداد يستعين بأجرة حراسة أحد دوربها بالليل . ولكن سرعان ما أقبلت عليه دنياه وابتسم له الحظ ، حينما فشا علمه واشتهرت تآليفه ، فاتسع حاله ، وكثر كسبه ، وعظم جاهه،فقربه الرؤساء ، واستعملوه في الأمانات والقضاء في غير ما موضع من

(٦) . وكتبه المذكورة في الفقه أكثر من كتبه في الحديث،ومن ثم نستجلي فيما وقع الينا والى شيوخنا من آثاره نزعة فقهية ظاهرة ، على ماهي عليه آثار الحافظ الخطيب ، كما أن له في الشعر جولة ككل مثقفي الأندلس الذين كانوا يأخذون بطرف من علم اللغة والأدب، وتلقن لهم في الكتاب منذ حداثة السن كما هو معروف ، وتوجد نسخة خطية من كتابه « أحكام الأصول » في الخزانة الملكية بالرباط،وأخرى بمكتبة القرويين بفاس،ومنها رقيقة « ميكروفيلم » بالخزانة العامة بالرباط .

(٧) . ومن آثاره التي طبعت أخيراً : « رسالة في الحدود» نشرها الأستاذ جودة عبدالرحمن هلال في مجلة « المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد » المجلد ٢ العدد الأول ١٩٥٤ ، ونشرت أيضاً حديثاً مستقلة – ومما نشر له حديثاً أيضاً في نفس المجلة المجلد الأول العدد الثالث ١٩٥٥ وصية الباجي لولديه المعروفة في بعض المصادر بـ « النصيحة » . ومن آثاره الموجودة أيضاً ضمن ميكروفيلم بدار الكتب الوطنية بتونس كتاب « المنهاج في ترتيب الحجاج » ، وقد طبع مؤخراً بباريس بتحقيق الأستاذ التركي (من تونس) .

من الأندلس ، وأجزلوا له الصلات(٨) . ولقد كان من مظاهر الإقبال الذي وافاه ، تهافت الطلاب عليه من جميع أنحاء الجزيرة ، ولم يبعد من قال إن خلقاً قد رووا عنه . وتفقهوا على يده ،وذلك أنه كاد يكون في طليعة من رحل اليه طلاب الفقه والحديث من جميع أقاليم الأندلس . فقد شدت اليه الرحلة من بلدة ميورقة — ومن قرطبة — ومن مالقة — ومن شاطبة — ومن مرسية — ومن أريولة — ومن دانية — ومن جزيرة شقر — ومن طرطوشـــة — ومن بلنسية — ومن أندة — ومن موربيطر — ومن لورقة — ومن اشبيلية — ومن المرية — ومن طليطلة — ومن مدينة فرج — ومن مدينة سالم — ومن سرقسطة — ومن وشقة ومن تطيلة — ومن لاردة — ومن لشبونة — ومن شنترين — ومن يابرة .

كما ورد عليه من أهل المغرب أبو محمد بن عبدالله بن جماح الكتامي السبتي (المترجم في الصلة) المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ، الذي كان يستخلفه الباجي في تدريس أصحابه اذا سافر .

وقد ظل على هذه الحال من غنى العلم وغنى المال الى أن وافته منيته رحمه الله « بالمريه » سنة ٤٩٤ هـ .

وتلك هي مقومات النباهة العلمية التي التفت اليها ولاريب الحافظ الخطيب ، فكما روى عنه الباجي روى الخطيب عنه . ويقول الخطيب : وأنشدني أبو الوليد لنفسه :

---

(٨) . المعروف أنه كان يقيم تارة تحت ظل صاحب « ميورقة »،وتارة عند المقتدر بن هود صاحب « سرقسطة ». ومن مآثره رحمه الله أنه حينما اشتدت قبضة « الفونصو السادس » على ملوك الأندلس وظهرت بوادر نهدته الى الاستيلاء على طليطلة ، وتوالى صريخ أهل الأندلس ، وهبوا للاستنجاد بأمير المسلمين في نحو سنة ٤٦٦هـ (أنظر الحلل الموشية) ، هب أبو الوليد الباجي باشارة من المتوكل بن الأفطس صاحب « بطليوس » ، فطاف بالقواعد والولايات الأندلسية صائحا ، منذرا ، ومحذراً من عواقب التفرق ، مهيبا بالملوك أن يتحدوا ويسارعوا الى نجدة « طليطلة ». وبذلك يكون قد خرج من لعنة الإمام ابن حزم التي أرسلها على فقهاء ذلك الزمان الذين خنعوا للذلة ، وأكلوا على حد تعبيره من حلوى الملوك أهل الفرق — والفرقة

اذا كنت أعلـم علمـاً يقينـاً
بأن جميـع حيـاتـي كسـاعه
فَلِـمْ لا أكـون ضنينـاً بهـا
وأنفقهـا فـي صـلاح وطـاعه؟

وروى الباجي عن الخطيب كتاب « الفصل للوصل » و « المكمل بيان المهمل »(٩) وهما من كتب العلل التي لا مثيل لها كما قال أبو بكر بن خير ، و « الموضح لأوهام أبي عبدالله البخاري في التاريخ الكبير » .(١٠)

ومن هذه الطبقة التي روت كما أشير سابقا عن الحافظ أبي بكر الخطيب(١١) .

الإمـام الحميدي
(ت ٤٨٨هـ)(١٢)

أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن فتوح « بتشديد التاء » بن عبدالله بن حميد ابن يصل الأزدي الميورقي ، عرف بالحميدي نسبة الى جده حميد ، وعزي الى « ميورقة » مسقط رأسه ، وهي احدى الجزر الثلاث بشرق الأندلس : ميورقة — ومنورقة — ويابسة . وأصل سلفه من قرطبة من ربض الرصافة منها . وقد ولد كما قال قبل العشرين وأربع مئة ، حافظ مؤرخ ، وثقة ثبت ، وأديب شاعر. وصف شعره بالملاحة وذكر له ديوان غير معروف وبعض مقطعاته في الصلة

(٩) أنظر فهرسة ابن خير ١٨٢ ، ط مدريد .
(١٠) المصدر السابق ص ٢٢٤ .
(١١) ارشاد الأريب الجزء ٥٨/٦ ط الأولى بتصحيح مرجليوت .
(١٢) أنظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٥٠٢ — ٥٠٤ طبعة مدريد — بغية الملتمس للضبي ١١٣ — ارشاد الأريب الجزء ٥٨/٧ ط الأولى بتصحيح مرجليوت — تذكرة الحفاظ للذهبي ١٢١٨/٤ ترجمة ١٠٤١ـ نفح الطيب ١١/٢ دار صادر بيروت ترجمة ٦٣ — وفيات الاعيان ٢٨٢/٤ — الوافي بالوفيات ٣١٧/٤ ـ المنتظم لابن الجوزي ٩٦/٩ — شذرات الذهب ٣٩٢/٣ ط نشر مكتبة القدسي مصر . مرآة الجنان ١٤٩/٣ ، وانظر بحثا مسهبا عن الحميدي للدكتور محسن جمال الدين في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد — العدد العاشر نيسان ١٩٦٧ .

لابن بشكوال، وفي الوافي بالوفيات، وفي نفح الطيب للمقري، وفي تذكرة الذهبي، كما أنه كاتب مترسل حسبما توحي بذلك آثاره الآتية الذكر . وله مرويات أكثرها في المواعظ ، ومتشاغل بالعلم كشيخه الباجي ، وفي عداد مشاهير الراحلين من المغرب الى المشرق للأخذ والسماع سنة ثمان وأربعين وأربع مئة ، بعدما سمع بالأندلس على أبي القاسم أصبغ بن مالك بن موسى الزاهد القبري ، وأكثر الأخذ بالأندلس عن الإمام أبي محمد بن حزم الظاهري حيث طال لقاؤهما بين عامي ثلاثين وأربع مئة وأربعين وأربع مئة ، وقرأ عليه أكثر مصنفاته ، واشتهر بصحبته . بالرغم من أنه لم يكن يتظاهر بذلك ، كما سمع بها من حافظ المغرب ابن عبد البر وأبي العباس العذري ، وغيرهما من أصحاب هذه الطبقة . وسمع بأفريقية في أثناء رحلته . ولقي بمكة كريمة بنت أحمد المروزية(١٣). ثم قدم على مصر . وسمع بها كثيراً ، وأقام بواسط للسماع ، ثم انتقل الى بغداد مستوطناً في بداية قيام حكم السلجوقيين ، على عهد القائم بأمر الله . وبها روى عن الخطيب البغدادي كما سيأتي تفصيله ، وكتب عن الكثير من الأعلام(١٤) وروى عنه الأمير أبو نصر بن ماكولا وكان صديقاً له. والقاضي أبو بكر بن اسحاق . وأبو عبدالله القضاعي . وأبو اسحاق الحبال ، وابن بقا الوراق . وجماعة منهم أبو الفتح البطي .

---

(١٣) للمروزية سماع قديم أغري به الخطيب البغدادي ، فقرأ عليها صحيح البخاري كما في تذكرة الحفاظ وطبقات الشافعية للسبكي .

(١٤) تحتوي ترجمة الحميدي في المراجع المشار اليها على جملة شيوخه ، وكما حظي بالرواية عن هؤلاء المشارقة وخصوصاً أعلام بغداد . تجملت ترجمته بكلمات بعضهم في التنويه به كأبي نصر علي بن ماكولا الذي قال فيه : « إنه من أهل العلم والفضل والتيقظ ، ولم أر مثله في عفته . ونزاهته ، وورعه ، وتشاغله بالعلم » ، وهو تنويه ورد حتى على ألسنة مواطنيه الأندلسيين ، فأبو علي الصدفي — الذي سيأتي ذكره — يصفه بالنباهة ، والمعرفة ، والإتقان ، والدين ، والورع ، وهي فقرات تسند كلمات ابن ماكولا السالفات ، وهمك بالنباهة واليقظة عند أصحاب التجريح والتعديل ، فهي العيار الدقيق الذي لا يزكي به غير الأثبات من المؤرخين والمحدثين .

وللحميدي مصنفات كثيرة متنوعة تنوع محصوله ، ومن أشهرها مصنفه في « الجمع ما بين الصحيحين »(١٥) . وهو أشهر كتبه الحديثية(١٦) ، وكتاب تفسير غريب ما في الصحيحين ،وهو شرح لما في كتابه « الجمع ما بين الصحيحين من الغريب »(١٧) ، وكتاب « ما جاء من الآثار في حفظ الجار » . ودالية في النقض على من عاب الحديث وأهـــله ، وكتاب جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ألفه ببغداد. وهو من أشهر كتبه. وطبع بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي . ويقول الضَّبّيّ في « بغية الملتمس » : إنه اعتمد على « الجذوة » ، وكتاب في تاريخ الاسلام ، وهو الذي يذكر تارة عند القدامى باسم (جمل من تاريخ الاسلام) . وله كتاب في علماء الحديث(١٨) ، وكتاب « ترسل مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء » . وكتاب « تسهيل السبيل

---

(١٥) كتب الجمع بين الصحاح كلا أو بعضاً ، وبينها وبين بعض المسانيد ، وبينها وبين بعض المعاجم ، كمعجم الطبراني ، قد أغرى المغاربة في العدوتين بالتأليف على منوالها أسوة بالمشارقة ، ومن أشهرها « الجمع بين الصحيحين » لأبي عبد الله محمد بن حسين بن أحمد ابن محمد الأنصاري المري (بفتح الميم وكسر الراء وكذا ينسبونه الى : المرية) المتوفى عام ٥٨٢هـ وقد أخذه عنه الناس كثيراً ، ومنها أيضاً الجمع بين الصحيحين لأبي محمد عبد الحق الاشبيلي المتوفى عام ٥٨٢ صاحب كتاب « الأحكام الشرعية الكبرى »،ومنها في الجمع بين الأصول الستة كتاب « التجريد للصحاح والسنن » لأبي الحسن رزين (بوزن أمير) ابن معاوية العبدري السرقسطي الأندلسي المتوفى بمكة سنة ٥٣٥ ، وقد تفرعت عن هذا الصنف من الجمع عملية المصنفات المجردة والمنتقاة من كتب الأحاديث المسندة خصوصاً أو عموماً ، كالتجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح لشهاب الدين أبي العباس أحمد ابن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي الحنفي ، ومن أشهر وأحفل ما للمغاربة في هذه المنتقيات كتاب الأحكام الشرعية الكبرى الآنف الذكر في ست مجلدات لعبد الحق الاشبيلي ، وقد وضع عليه الحافظ الناقد أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري المعروف بابن القطان (ت ٦١٨هـ) كتابه العظيم « بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الأحكام » .

(١٦) منه نسخة في الموصل،وأخرى بدمشق،ونسختان بدار الكتب المصرية بالقاهرة حسبما أشار اليه المرحوم محمد بن تاويت في مقدمة (جذوة المقتبس) .

(١٧) أنظر مقالة للمرحوم أحمد تيمور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

(١٨) ينقل عنه ابن بشكوال كثيراً في الصلة .

الى علم الترسيل »(١٩) ، وكتاب « المشتاق في ذكر صوفية العراق »، و« الذهب المسبوك في وعظ الملوك(٢٠) ، وكتاب « نوادر الأطباء » ، وكتاب « المتشاكه في أسماء الفواكه »(٢١)، وغيرها مما يوجد أكثره في « هدية العارفين » . وعند ابن شاكر الكتبي في « عيون التواريخ » . وقد توفي الحميدي رحمه الله ببغداد عام ثمانية وثمانين وأربع مئة ، ودفن بمقبرة باب أبزر، ثم نقل الى باب حرب حيث دفن عند بشر الحافي . وباب أبزر اليوم في محلة الفضل ببغداد ، كما سمعت من د . جمال الدين عند إقامتي ببغداد .وقد تدبج الحميدي مع أبي بكر الخطيب البغدادي . فكتب عنه أكثر مصنفاته . وروى الخطيب عنه أكثر مصنفاته .والمذكور بالاسم من هذه المصنفات : « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » ، ورواه عن الحميدي كما سيأتي ذكره .

وممن أخذ عن الحافظ أبي بكر الخطيب مباشرةً :

ابن قطري النحوي

(— هـ ٥٠١)(٢٢)

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطري الزبيدي الاشبيلي ، نزيل سبتة والمتوفى بها سنة احدى وخمس مئة ، وهو من شيوخ إمام المغرب الأكبر القاضي عياض الآتي ذكره . وقد ترجم له في فهرسته المعروفه بـ « الغنية » ، من بيوتات أشبيلية المتأصلة في العلم والجاه . درّس النحو والعربية والأدب . وله حظ وافر في الأصول والاعتقاد . وكان متسع السماع . وسمع بالأندلس القاضي

(١٩) ذكر المرحوم الأستاذ ابن تاويت أنه ذكر في « عيون التواريخ » و « سير النبلاء » باسم كتاب « الترسل » ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

(٢٠) منه نسختان في دار الكتب المصرية كما أشار المرحوم ابن تاويت .

(٢١) ذكرا معا في فهرسة ابن خير ، ص ٣٥٨ ، ط مؤسسة الخانجي القاهرة .

(٢٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٨٥ ط السعادة ، وترجمة تلميذه القاضي عياض في فهرسته (الغنية) ١٤٣ .

أبا الوليد الباجي قرين أبي بكر الخطيب ، والدلائي ، وأبا عبد الله بن سعدون القروي ، وأبا الليث السمرقندي ، وغيرهم . وله رحلة الى المشرق ، عرج فيها على صقلية ، ولقي في رحلته بالمشرق المشاهير كالحافظ أبي بكر الخطيب ، وابن بابشاد ، والحسين الطبري .

سمع من أبي بكر الخطيب فصولا ، وحدثه بكتاب « المؤتلف والمختلف » وبكتاب « الفقيه والمتفقه » . وأورد القاضي عياض في ترجمته المشار اليها جملة أشعار وأخبار مما حدثه به الزبيدي عن الخطيب .

وفي طليعة من أخذ مصنفات أبي بكر الخطيب عن قرينه أبي الوليد الباجي :

ابن موهب

(٤٤١هـ ٥٣٢هـ)(٢٣)

الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن الزقاق .

وهو أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي من أهل المرية ، ويعرف بابن الزقاق : محدث راوية . ومسند عارف . من أهل العلم والمعرفة والذكاء والفهم . من شيوخه القاضي الباجي ، وابن عبد البر ، وأبو العباس العذري ، وقد روى عنه كثيراً ، واختص به . ومن تلامذته القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ، وأبو جعفر أحمد بن الأزدي . وله تأليف عظيم في تفسير القرآن .

أخذ عن الباجي من كتب الخطيب « الفصل للوصل » ، وكتاب « المكمل في بيان المهمل »(٢٤)،ويروي أيضاً عن الباجي كتاب « الموضح لأوهام أبي عبدالله البخاري في التاريخ(٢٥) .

---

(٢٣) انظر ترجمته في : بغية الملتمس،الترجمة تحت رقم ١٢٢٢ – الصلة لابن بشكوال ص ٤١٩ ط مدريد ـ شذرات الذهب ٩٩/٤ – طبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٤ ط ليدن – ارشاد الأريب ٢٤٤/٥ط بعناية وتصحيح الدكتور مرجليوث ط هندية بالموسكي بمصر .

(٢٤) فهرسة ابن خير ص ١٨٢ ط مدريد .

(٢٥) فهرسة ابن خير ٢٢٤ ط مدريد .

وممن روى عن تلامذة أبي بكر الخطيب :

الحافظ الفقيه الشيخ ابن وضاح(٢٦)
(ت ٥٣٩هـ)

وهو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى بن وضاح القيسي المرسي ، التدميري الأصل ، سكن « المرية » : فقيه حافظ مشاور ، عارف بالمسائل كما حكاه ابن عبدالملك في الذيل والتكملة ،وروى بالأندلس عن أبي عبدالله أحمد ابن محمد الخولاني ، وابن علي الصدفي فأكثر عنه . ورحل الى المشرق فحج ، وأخذ في رحلته عن أبي بكر الطرطوشي ، وأبي الحسن بن المشرف الأنماطي ، وأبي زكرياء يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن أبي طاهر السِلَفِيّ .

قرأ من مصنفات الخطيب « الرسالة المجهولة(٢٧) في الإجازة وتنويعها وانقسامها » بالاسكندرية سنة ٥١١هـ على أبي زكرياء يحيى ابن ابراهيم بن عثمان (٢٨) بن عمر بن شبل الذي قرأها على الحافظ الخطيب .

---

(٢٦) انظر ترجمته في : ميزان الاعتدال ١٤٥/٣ – البغية ١٢٣ – البداية لابن كثير ٨٢/١١ .

(٢٧) فهرسة ابن خير / ٢٢٦ ط مدريد .

(٢٨) مد ابن خير في « الفهرسة » نسبه بعد اسم عثمان، فذكر عمر بن شبل، في حين أن ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ج ٦٩/٦ جعل « عثمان » ابنا لأبي طاهر السلفي ، فيكون أبو زكريا يحيى بن شبل المذكور من حفدته ، ولم أقف لهذا الحفيد على ترجمة ، فيما عدا اشارة أبي بكر بن خير وابن عبد الملك المراكشي ، وهما مضطربتان في أسماء آبائه كما ذكر ، وورد يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل في نفح الطيب (ج ٥١١/٢) تحقيق الدكتور احسان عباس ، وذلك ضمن ترجمة أبي يوسف حماد بن الوليد الكلاعي حيث قال فيه : إنه حدث بالاسكندرية ، فسمع منه يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل .

ومن رواة مصنفات الخطيب عن تلامذته :

الحافظ قاضي قضاة اشبيلية وشيخ القاضي عياض أبو بكر وأبو يحيى بن العربي المعافري ٤٦٨ – ٥٤٣(٢٩)

محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن العربي المعافري نسبة الى معافر بن يعفور أبي حي باليمن ، من أسرة علم ونباهة، فقد كان أبوه عبدالله من وجوه العلماء في دولة بني عباد ، كما كان خاله أبو القاسم الحسن بن أبي حفص بن الحسن الهوزني من الفقهاء المشاورين ، ومن أصحاب الأسانيد

(٢٩) انظر ترجمته موسعة في فهرسة تلميذه القاضي عياض « الغنية » طبع تونس ص ١٣٣ وما بعدها – وفي الصلة لابن بشكوال ص ٥٥٨ ط مدريد – صلة الصلة لابن الزبير « المخطوط » ونقله في « أزهار الرياض » – بغية الملتمس للضبي رقم الترجمة ١٧٩ – أزهار الرياض ج ٣ / ٦٢ ، ٨٦ ، ٩٥ – المغرب لابن سعيد ج ٢٤٩/١ – وابن الامام بواسطة «المغرب» – نفح الطيب ج الثاني / ٢٥ – ٤٣ ط دار صادر تحقيق د . احسان عباس – المطمح لابن خاقان ص ٧١ ط السعادة بمصر – المرقبة العليا ص ١٠٥ – وفيات الأعيان ج ٤ / ٢٩٦ – الوافي بالوفيات ٣ / ٣٣٠ – فوات الوفيات – ابن خلدون ج ٦ / ١٨٨ ط بولاق – الكامل لابن الأثير ١٠ / ١٤ – روض القرطاس لابن أبي زرع ص ٨٨ – الديباج لابن فرحون ص ٢٨١ – سلوة الأنفاس للشريف الكتاني ج ٣ / ١٩٨ – تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس للدكتور حسين مؤنس ص ٣٩٤ – ٤١٦ – مجلة « الأبحاث » التي تصدر عن معهد البحوث بالجامعة الأمريكية ١٩٦٣ ، انظر المقدمة التي صدر بها الأستاذ محب الدين الخطيب تحقيقه وتعاليقه على كتاب العواصم ط الدار السعودية للنشر – وانظر أيضاً صلب «العواصم من القواصم» عند الكلام على حادثة اقتحام الغوغاء دار أبي بكر ابن العربي بتأليب من الفقهاء ، ومن الرسائل الجامعية الصادرة عن دار الحديث الحسنية بالرباط ، رسالة عن كتابي ابن العربي : « الناسخ والمنسوخ » و « قانون التأويل » : الرسالة الأولى د . عبد الكبير المدغري ، والثانية د. مصطفى الصغيري ، وليس بين علماء المغرب من أسدل عليه من نعوت الجلال والعلم ماكيل حقا وصدقا لهذا الشيخ ، فقد لقب بـ « العارف » و « بعلم الأعلام » و « بحجة الاسلام » و « الحافظ المستبحر » و« المقتدى به » و « تاج المفرق » و « فخر المغرب على أهل المشرق » و« ختام علماء الأندلس » ،و« آخر أئمتها وحفاظها وخزانة العلم وقطب المغرب في العلوم » ، و« من لوالم ينسب لاشبيلية الا هذا لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف وهو كليل » ، هذا الى ما يحلى به عند ابن خاقان من عظيم الألقاب لغاية ضرورة الفواصل والأسجاع .

العالية في الحديث . وكانت أمه من بيت علم ورياسة في اشبيلية أيضاً ، حسبما ذكر جميعهم ابن بشكوال في الصلة . سمع من أبيه عبدالله بن محمد وهو عمدته في طلب العلم ،ومن خاله ، كما سمع ببجاية وبالمهدية ، واكتملت مقومات علمه الجم برحلته المشرقية التي أزمعها للطلب سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وسنه يومئذ نحو سبعة عشر عاماً ، وقد كان في رفقة والده الذي قصد الحج وهو يشد أزراره على كتاب من أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين الى خليفة بغداد « المستظهر » يعرض فيه الانضواء تحت خلافة العباسيين(٣٠). ثم دخل الشام كما تقول مصادر ترجمته ، وتفقه بها على أبي بكر الطرطوشي ، وعلى جماعة من الفقهاء والمحدثين ، وقد ذكرت الشام مجملة عند مترجميه من غير تعيين أية حاضرة فيها ، في حين نجد المترجم في كتابه « قانون التأويل » يركز(٣١) في حديثه عن مدينة القدس بالذات على الناحية العلمية التي بهرته بفراهة علم علمائها ، فيذكر أنه قصد مدرسة الشافعية وألفى بها جماعة علمائهم يتناظرون ، فقرر الإقامة لطلب العلم . واتخذ منها على حد تعبيره للعلم مباءة ، وأكثر

(٣٠) لما فتح يوسف بن تاشفين المغرب ، واتسعت حدوده ، أوعز اليه شيوخ المغرب باتخاذ سمة الخلافة . ولكنه اكتفى باتخاذ لقب أمير المسلمين،وأصدر مرسوماً بذلك سنة ٤٦٦ ، ثم في آخر عهده أوعز اليه الفقهاء – وكانوا عماد حكمه – أن يحصل على الولاية من خليفة بغداد « المستظهر » ليظفر بطاعة الناس كافة ، فوجه اليه كتاباً مع أبي عبد الله محمد بن العربي والد ابن العربي في هذه الرحلة (التي صاحبه فيها ولده لطلب العلم) ومعه هدية كالمعتاد في مثلها ، فبعث اليه الخليفة بمرسوم الخلافة والخلع المعهودة ، وتوجد سكة مرابطية باسم الخليفة المستظهر .

(٣١) هكذا يعبر صديقنا وقريبنا الأستاذ الكبير ابراهيم الكتاني حين جلب فقرات من رسالة ابن العربي « قانون التأويل » ونصوصاً أيضاً من كتاب « الناسخ والمنسوخ » لابن العربي ومن « القبس » له أيضاً ، ومن هذه النصوص ومما سجله الدكتور حسين مؤنس في في « تاريخ الجغرافيا والجغرافيين » ص ٣٩٨ يتجلى مدلول الشام المذكور مجملا في « الصلة » وفي « سلوة الانفاس » وغيرهما (مع العلم بأنه دخل دمشق بعد المقدس) ، وبذلك يتعين أن يذكر أخذه عن الطرطوشي ببيت المقدس من الشام بالذات – (العدد الخاص بالقدس من مجلة « دعوة الحق ») شوال ١٤٠١ – غشت ١٩٨١ .

فيها القراءة ، وخصوصا بباب السلسلة ، كما أفاد أنه حضر مجلساً للمناظرة بين المسلمين والنصارى واليهود ، برئاسة الإمام المغربي أبي بكر الطرطوشي ، ويقول في هذا الإمام الذي زاره بصحبة والده : « إنني شاهدت هديه وكلامه ، فامتلأت عيني به ، وأذني منه ، فأعلمه أبي في نيتي من الإقامة ، فأجاب ، وانفتح اليّ للعلم الباب . وهكذا لم يغادر ابن العربي بيت المقدس الا بعد ثلاث سنوات في الكد والتحصيل ، وخصوصاً في علم الكلام وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف مع الإقبال على مطالعة كتب التفسير والحديث والكلام للمؤالفين والمخالفين ، وعرّج عند صدره عنها الى « عسقلان » فألفى بها (بحر أدب يعب عبابه ويغب ميزابه) ، فأقام بها ستة أشهر للارتواء من ذلك العباب ، ومن عسقلان دخل دمشق ، ثم بغداد وسمع بها من أبي الحسين المبارك الصيرفي ، ومن أبي بكر بن طرخان وغيرهما ، ثم رحل الى الحجاز في موسم تسع وثمانين وأربع مئة ، وسمع بمكة من أبي عبدالله الحسين بن علي بن الحسين الطبري الشافعي ، وابن طلحة وغيرهما . ثم عاد الى بغداد ثانية في نحو سنة تسعين وأربع مئة فسمع من شيوخها اذ ذاك ما بين شافعية ، وحنبلية ، ومعتزلة ، وبها صحب أبا بكر الشاشي ، وأبا حامد الغزالي الذي سبق له الاجتماع به في المطاف بمكة . وببغداد أخذ الأدب عن أبي زكريا الخطيب الذي كان يدرّس بالنظامية في نفس التاريخ(٣٢) ثم صدر عن بغداد الى مصر والإسكندرية ، وسمع بها في هذه المرة عن الأنماطي ، وأقام بها عند شيخه وعمدته أبي بكر الطرشوشي وبها

(٣٢) جاء في سياق « سلوة الأنفاس » عند ترجمة ابن العربي ما يفهم منه أن قراءة الأدب على أبي زكريا الخطيب كانت بمكة ، ويظهر أنه محض اضطراب في ترتيب الحواضر التي أخذ بها ابن العربي ، لأن أبا زكريا كان يدرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد في هذه المرحلة — وهي المدرسة التي كان ينتصب فيها الغزالي للتدريس في نفس الوقت — ويذكر عادة عند رحلته الى بغداد أنه لقي بها المهدي بن تومرت . ولكن هذا قد بحث فيه من جهة الموازنة بين التواريخ — ومن جهة أخرى إن أبن العربي لما سئل في المغرب عن هذا اللقاء ، جمجم ولم يبن .

توفي والده سنة ثلاث وتسعين وأربع مئة ، وفي نفس السنة عاد الى اشبيلية بلده بعدما قضى في رحلته تسعة أعوام في الدرس والتحصيل ، ومصداق هذا ماجاء به الحجاري في « المسهب » حين قال فيه : « انه ملأ الشام والعراق بأوابده ، وطبق الآفاق بفوائده »، وقال هو عن رحلته : « كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي الباجي ». وهذه المقومات هي التي رفعته(٣٣) الى الشورى والقضاء ببلده اشبيلية مدة من سنة ثمان وعشرين وخمس مئة وبقرطبة أيضاً (كما في بعض المصادر) ، وتهافت بالرحلة للأخذ عنه خلق ، حيث درس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ وتفسير القرآن الكريم .

وقد خلّف مصنفات في مختلف العلوم الدينية ، منها ديوان كبير الحجم(٣٤) باسم « أنوار الفجر » ، وكتاب « أحكام القرآن

(٣٣) وربما أهله لذلك أيضاً مشاركته لوالده في مهمته السياسية ببغداد كما تحدث عنها في رسالة « شواهد الجلة » وفي كتاب « ترتيب الرحلة » الذي سجل فيه محتويات مسودة رحلته الضائعة . ويلفت النظر هنا ، أن الدكتور حسين مؤنس (تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس) قد بحث في موضوع هذه المهمة سواء بالنسبة الى الوالد أو الولد أو لعهد يوسف بن تاشفين بالذات ، والدكتور يطعن في كل ما جاء به ابن العربي في هذا الصدد بما في ذلك رسالة من أبي حامد الغزالي ، وأخرى من أبي بكر الطرطوشي في تزكية حكم المرابطين ، وكأني بالدكتور يعتمد في عزمه هذا على ما هو مذكور من توهين بعض الفقهاء خصوم ابن العربي لمروياته التي أغرب فيها ، فاتخذ الدكتور من ذلك طريقاً الى التشكيك فيما جاء به . ويظهر أن هذا مردود عليه ، لأن جميع مؤرخيه وإن أشاروا الى ما قيل فيه فانهم يكررون عليه بالنقض ، ويزكون عدالة ابن العربي والثقة فيه ، وقد قال فيه ابن بشكوال من المغرب : « انه ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها »، ويقول فيه من المشارقة الحافظ ابن ناصر الدين في « شرح بديعية البيان » : « كان أحد الحفاظ المشهورين والأئمة المعتبرين من الثقات الأثبات » . هذا الى ان هناك ملابسات تاريخية على عهد يوسف بن تاشفين غفل عنها الدكتور مؤنس ، وهي مما يوهن ما ذهب اليه ، إضافة الى أن هناك نقودا مسكوكة في المغرب تعطينا الخبر اليقين .

(٣٤) – قيل إنه في الأمداح النبوية ، وأورد له بعض مؤرخيه قصائد ومقطعات في غير هذا الباب ، ونجدها متناثرة في بعض المصادر ولا سيما في « نفح الطيب » ، وأطال الضبي في « البغية » على غير عادته ، فجلب بائية طويلة لو يخاطب بها اخوانه ببغداد ، وقطعة دالية يصف فيها كثرة الناس ، واحتفالهم في المصلى يوم العيد .

الكبرى »(٣٥) « والأحكام الصغرى » وغيرها مما يصل تعداده الى نحو الأربعين بين ما هـو مطبوع ومخطوط(٣٦) ، وبينهـا ما تعددت أجزاؤه ككتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » الذي يقع في عشرين مجلداً ، وكتفسير القرآن « أنوار الفجر » الذي قيل إنه يطلع في ثمانين سفراً ، كل سفر يطلع في ألف ورقة ، ورآه بعضهم بخزانة السلطان أبي عنان المريني بمراكش في ثمانين مجلدا .

والى جانب التأليف انصرف القاضي مدة الى التدريس بعد انتهاء مدة قضائه باشبيلية،وقرأ عليه جماعة من أمثال الحافظ القاضي عياض ، وكتب عنه واستفاد منه ، وابن بشكوال صاحب « الصلة » ، وأبي بكر بن خير صاحب الفهرسة ، وعالَم من هذه الطبقة .

وقد نكب أيام تدريسه بمحنة تألب الفقهاء عليه،فكبس منزله الغوغاء ونهبوا كتبه (العواصم من القواصم)،واضطر أن يفر من سطح منزله ناجياً بنفسه .

---

(٣٥) – وكتاب « الاحكام » من الكتب الرائجة بين علماء المغرب،وأدركنا من شيوخنا من يستظهرها ، والمعول في مجالس القرويين عند اختلاف الأقوال على ما انتهى اليه ابن العربي في الأحكام .

(٣٦) – عدد منها الشريف الكتاني في « سلوة الأنفاس » ثلاثة وثلاثين ، وبقي عليه ذكر كتاب « ملجئة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين »،ورسالة « شواهد الجلة » التي ذكرها الضبي،و«رسالةالمستبصر»،وثلاثتها من محفوظات الخزانة العامة بالرباط،كما أن من بين المحفوظات بهذه الخزانة كتاب « القبس » في شرح موطأ الإمام مالك – وكتاب « الناسخ والمنسوخ » – و « رسالة المستبصر » ذكر في غضونها فهرسته في طلب العلم » و« ترتيب الرحلة الى المشرق » وهي ضمن مجموع ، وفي مكتبة جامع ابن يوسف مخطوطة كتاب « الوصول الى معرفة الأصول » ، وقد نشر الدكتور احسان عباس لابن العربي « ترتيب الرحلة » في مجلة « الأبحاث » (كما في هامش مصادره)، وهذه الرحلة تعد أول رحلة علمية أسلوبية في تاريخ الرحلات ، وأعني أنها خرجت عن الجانب الجغرافي البحت . .

وعندما ظهر أمر الموحدين بعد المرابطين ، وتم استيلاؤهم على مراكش نرى ابن العربي أكبر شيوخ الوافدين على الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي لتقديم الولاء ، وكأنها كانت ظاهرة لنشوته السياسية ، استيقظت فيه بقيام الدولة الموحدية .

وكانت وفاته رحمه الله منصرفه من مراكش الى فاس ، فأدركته المنية في الطريق على مرحلة منها بموضع يعرف بمغيلة الى اليوم ، وقد حمل على الأعناق ميتاً الى فاس. ودفن بها لثلاث خلت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة ، وأقبر بباب المحروق ، وعلى قبره قبة ، وهي من مزارات فاس .

هذا هو العلامة الفذ الذي دخل بغداد مرتين، فطاب له بها المقام ، وأفاد واستفاد بالدرس والتدريس ، ولم يفته أن يكون من رواة مصنفات أبي بكر الخطيب حافظ بغداد ، وهكذا أخذ عن أبي محمد جعفر السراج(٣٧) عن الخطيب : « كتاب شرف أصحاب الحديث » – وكتاب « تقييد العلم » – وكتاب « الرحلة في طلب العلم »(٣٨) . وكتاب أسماء من روى عن مالك بن أنس » .

كما أخذ عن أبي محمد السراج المذكور جزءاً فيه كتاب « النصيحة لأهل الحديث » ، وفيه أيضاً « الرسالة المجهولة وتنويعها وانقسامها »(٣٩) .

وأخذ أيضاً عن أبي الحسين الطيوري(٤٠) عن الخطيب .

---

(٣٧) – هو أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج المعروف بالقارىء: حافظ عصره وعلامة زمنه ، وشاعر مكثر. من تصانيفه « مصارع العشاق » . ومن الآخذين عنه أبو طاهر السلفي الذي كان يعتز بروايته . توفي ببغداد سنة ٥٥٠هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان، وفي العبر للذهبي ج ٣٥٥/٣ ، والمنتظم لابن الجوزي ج ٥١/٩ .

(٣٨) – فهرسة ابن خير ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

(٣٩) – فهرسة ابن خير ، ص ٢٢٦ .

(٤٠) – هو أبو الحسين المبارك بن عبدالجبار الصيرفي البغدادي المحدث المتوفى سنة ٥٠٠هـ (انظر العبر للذهبي ج ٣٥٦/٣) تحقيق فؤاد السيد – الكويت ١٩٦١.

ومن الآخذين مصنفات أبي بكر الخطيب عن تلامذته :

الامام الحافظ الكبير فخر الأندلس ابو على الصدفي

(٤٥٢ – ٥١٤)(٤١)

أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة (بكسر الفاء وتشديد الراء مع فتحها ، اسم اسباني ومعناه الحديد) بن حيون(٤٢) الصدفي ، ويعرف بابن سكرة (بضم السين وفتح الكاف مع التشديد)، كما يعرف بابن الدّراج ، من شرق الأندلس ، ، ومن أهل سرقسطة ، ولد بها سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة ، وسكن مرسية .

روى بالأندلس في سرقسطة عن القاضي أبي الوليد سليمان الباجي المتقدم الذكر ، وبها أخذ القراءات عن أبي الحسن بن محمد صاحب أبي عمرو الداني إمام القراءات بالأندلس ، وسمع ببلنسية عن أبي العباس العذري ، وسمع بالمرية عن أبي عبدالله بن سعدون القروي ، وأبي عبدالله بن المرابط . وممن أخذ عليهم بالمغرب حافظ المغرب أبو عمر بن عبدالبر ، وسمع منه القاضي عياض السبتي الآتي الذكر واعتمد عليه ، وأبو محمد بن عيسى ، وأبو علي بن سهل ، وأخذ عنه بالمرية جماعة ، لطول مقامه بها،وأجاز كما سيأتي أمثال أبي القاسم بن بشكوال من المغاربة ، وأبي الطاهر السلفي من المشارقة ، وغيرهما .

---

(٤١) – أنظر مصادر ترجمته في : « الصلة » لابن بشكوال ج الأول – ١٤٥ – ١٤٨ – الترجمة ص ٣٢٧ ط مدريد – « بغية الملتمس » ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ط مدريد – ومصور بمكتبة المثنى – شذرات الذهب ج ٤٣/٤ مكتبة المقدسي القاهرة – مرآة الجنان الجزء ٢١٠/٣ ط حيدر أباد – كشف الظنون ج الثاني / ١٧٣٦ – الديباج لابن فرحون ص ١٠٤ – « الغنية » وهي فهرسة القاضي عياض » ص ١٩٢ = ٢٠١ رقم الترجمة ٤٧ ط تونس – أزهار الرياض ٥١/٣ –فهرس الفهارس ج الثاني /١١٠.وأفرد ابن الأبار الآخذين عنه بكتاب « معجم أصحاب أبي علي الصدفي » المطبوع بمدريد ومصر .

(٤٢) – تصغير يحيى في لسان الأندلسيين .

رحل الى المشرق سنة احدى وثمانين وأربع مئة،وحج من عامه . ومن أهم من لقيهم بمكة أبو بكر الطرطوشي ، وأبو عبدالله الحسين الطبري إمام الحرمين . ثم صار الى البصرة ، فلقي بها جماعة من أعلامها كأبي يعلى المالكي ، وأبي العباس الجرجاني،وغيرهما . ثم خرج الى بغداد يوم الأحد السادس عشر لجمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة . فأقام بها خمس سنين ، وسمع من جماعة منهم أبو يعلى المالكي ، وأبو الفضل بن خيرون قرين أبي بكر الخطيب ، واختص بأبي بكر الشاشي الفقيه الشافعي طوال مدة مقامه ببغداد ، فتفقه عليه ، وعلق عنه تعليقته الكبرى في مسائل . كما سمع بها من أبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي ، ومن أبي المعالي الاسفراييني ، وجماعة من هذه الطبقة ، من رجال بغداد ومن القادمين عليها ، كما حدث أيضاً ببغداد ، وسمع على جماعة من القراء . ثم دخل واسطَ ، وسمع من أبي المعالي محمد ابن عبدالسلام الأصبهاني وغيره . ثم رحل سنة سبع وثمانين الى دمشق ، ومن ثم ذكره الحافظ ابن عساكر في التاريخ ، وسمع من أبي الفتح نصر المقدسي وطبقته ، وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن علي بن الحسين الخلعي وغيره ، وأجاز له بها أبو اسحاق الحبال مسند مصر في وقته . كما سمع بالاسكندرية من أبي القاسم مهدي بن يوسف الوراق وغيره .

والواقع أنه لا تمكن الإحاطة بشيوخه ، وانما أقتصر هنا على ما يعطي صورة عن طبقته،(٤٣) وان اتساع روايته على هذا الوجه قد جعلت منه كما قال مؤرخوه حافظاً عارفاً بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته ، وعلله ، بصيراً منهم بالمعدلين والمجرحين ، مستظهراً لمصنفاته ، حتى إنه قال لبعض الفقهاء :« خذ

(٤٣) – وقد خصه القاضي عياض السبتي بتأليف في شيوخه فذكر له مئة وستين شيخاً ، كما أفرد تلميذه الفقيه المحدث الكاتب البارع أبو بكر القضاعي والمشهر بابن الأبار معجما (وهو المعروف المطبوع باسم المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي) ويقول في المقدمة أنه ضاهى به أبا الفضل عياض في جمع شيوخه وحصرهم .

الصحيح فاذكر أي متن أردت ، أذكر لك سنده ، وأي سند أردت أذكر لك متنه » . ومن إقباله على الحديث أنه كتب بخطه المذكور بالجودة صحيح البخاري(٤٤) وصحيح مسلم .

وقد كانت عودته من هذه الرحلة الى بلده الأندلس في صفر من سنة تسعين وأربع مئة،وقصد مرسية ، وقعد يحدث الناس بجامعها ، ورحل اليه الطلاب من جميع جهات الأندلس للأخذ عنه .

ويضاف الى علم هذا الشيخ بالحديث والفقه علوم القراءات التي سمعنا منذ لحظات شيوخه فيها من أهل سرقسطة وبغداد .

ومن تمام كماله زهده ، حيث أكره على القضاء بمرسية فوليه ، ثم اختفى بالمرية ، وأخذ الناس عنه فيها .

---

(٤٤) – توجد بطرابلس الغرب كما في كتاب « المزايا » (خ) للحافظ ابن عبدالسلام الناصري نسخة بخط الحافظ الصدفي في مجلد واحد مدمج ، وبخط غير منقوط ، وفي هذه النسخة سماع عياض من الشيخ الصدفي بخطه ، وفي أول النسخة كتابة بخط ابن جماعة ، والحافظ الدمياطي ، وابن العطار ، والسخاوي قائلا : هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني ، وبنى عليه شرحه « الفتح » واعتمد عليه .
وقد أشار أيضاً الحافظ عبدالسلام الناصري في رحلته الصغرى الى هذه السماعات . ووصف هذه النسخة أيضاً جد كاتبه الفقيه المدرس أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الشيخ أبي البركات وأبي السعود محمد عبدالقادر الفاسي في رحلته الحجازية (عام ١٢١١هـ) فقال : وقفت على نسخة من البخاري في سفر واحد . وبعد ذكر صفحاتها وما ابتدئت به قال : وبآخرها عند التمام ما صورته (آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبدالله البخاري رحمه الله والحمد لله على ما من به ، واياه أسأل أن ينفع به ، وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود مقروءة على أبي ذر رحمه الله وعليها خطه،وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة ٢١ محرم عام ثمانية وخمس مئة والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلواته على (محمد) (ص) كثيراً أثيراً ، وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله (ص) وسنته تصنيف أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه رواية أبي عبدالله محمد بن يوسف الفربري عنه رحمه الله الحسين ابن محمد الصدفي) ، ثم ذكر أبو العباس أحمد الفاسي الواقف على النسخة من وقفه عليها ، وذكر له أنه اشتراها من اسلامبول .

وأخيراً تجملت هذه الحياة المعطرة بالسنة النبوية ، بشهادة مرضية ، وذلك في وقعة « قتندة »(٤٥) سنة أربع عشرة وخمس مئة .

أما روايته مصنفات أبي بكر الخطيب،فقد لاحظنا أن من بين من أخذ عنهم في بغداد أبا الفضل بن الحسن بن خيرون(٤٦)، فعن تلميذ الخطيب هذا وعن تلميذه أيضاً الشيخ أبي بكر محمد بن عبدالباقي(٤٧) كتاب « شرف

(٤٥) – ويقال أيضاً « كوتندة » بالكاف المضمومة وبالتاء المضمومة والنون الساكنة من حيز « دورقة » من عمل سرقسطة ، حيث خرج مع أحد أقرانه في الفضل غازيين ، فكانا فيمن فقـد فيها ، وقد كانت في هذه الوقعة الكائنة على المسلمين ، ويقال إن القاضي أبا بكر بن العربي حضر هذه الوقعة،وسئل مخلصه منها عن حاله،فقال : « حال من ترك الخبا والعبا » .

(٤٦) – هو الحافظ أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد البغدادي المعروف بابن خيرون المتوفى سنة ٤٨٨ تدبج مع الخطيب فهو من أكبر تلا مذته وأقرانه . حلاه الذهبي بالحافظ العالم الناقد ، في شيوخه كثرة ، وتنزل حتى سمع من أقرانه ، وتفرد باجازة طائفة ، ووثقه السمعاني وأثنى عليه ، وكان يقال فيه :هو في زمانه كيحيى بن معين في زمانه ، اشارة الى كلامه في شيوخ العصر جرحاً وتعديلا مع الانصاف ، ناله كلام وهنه (ولعل هذا سر ذكره في « لسان الميزان ») بسبب ما كان يلحقه من الحواشي على تاريخ الخطيب ، وقد نافح عنه الذهبي وبين أنه مأذون بذلك من الخطيب .
يروي المغاربة فهرسة ابن خيرون من طريق القاضي عياض عن أبي علي الصدفي ، بل ان ابن خيرون أجاز بها جميع المسلمين الموجودين وقت الاجازة سنة ٤٨٦ – انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١٢٠٧/٤ الترجمة ١٠٣٤ – شذرات الذهب ج ٣٨٣/٣ – لسان الميزان ج ١٥٥/١ – فهرس الفهارس ج ٢٨٧/١ .

(٤٧) – أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي بن منصور البغدادي الدقاق المعروف بابن الخاضبة المتوفى سنة ٤٨٩ ، حلاه الذهبي بالحافظ الإمام القدوة ، مفيد بغداد (المقصود بالمفيد في اصطلاحهم من يفيد طلاب العلم حتى باعارة الكتب وتمليكها والاعانة على الطلب) ، قرأ الكثير وكتب وخرج وأفاد ، مع صحة القراءة في شيوخه كثرة،منهم أبو بكر الخطيب ، وحدث عنه بعدد من كتبه ، وروى عن ابن المسلمة ، ورحل الى الشام ، وسمع طائفة ، وقال فيه أبو الحسن الفصيحي : ما رأيت في المحدثين أقوم باللغة من ابن الخاضبة . وروى عن أبي بكر بن عبدالباقي أبو علي الصدفي، وقال الصدفي فيه : كان محبوباً الى الناس كلهم ، فاضلا حسن الذكر ، وما رأيت مثله على طريقته – وكان لا يأتيه مستعير كتابا الا أعطاه أو دله عليه . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٢٢٤ الترجمة ١٠٤٤ – شذرات الذهب ج ٣٩٣/٣ .

أصحاب الحديث » وهو ثلاثة أجزاء – وكتاب « تقييد العلم » – وكتاب « الرحلة في طلب العلم » – وكتاب « أسماء من روى عن مالك المبوب على حروف المعجم » (٤٨) .

وعن أبي بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي المذكور يروي كتاباً فيه « خطبة عائشة في الثناء على أبيها رضي الله عنهما »، ومن ابن عبدالباقي الى أبي بكر الخطيب (٤٩) .

وعن الشيخ أبي بكر بن عبدالباقي أيضاً يروي الصدفي الجزء الذي خرجه الخطيب، فيه خطبة عائشة في ذكر أبيها وذكر عمر بن الخطاب أيضاً ، وفيه أحاديث غريبة ومنامات ورقائق وانشادات في الزهد (٥٠) .

وعن ابن عبدالباقي أيضاً يروي عن أبي بكر الخطيب شرح غريب هذه الخطبة لابن الانباري (٥١) .

وحدثه من المغاربة الحافظ أبو عبدالله الحميدي بكتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » الذي حدثه به مصنفه الخطيب (٥٢) .

وممن تدبج مع ابي علي الصدفي ويعد في الرواية من طبقته :

ابو الحسين بن الطلاء

(٤٧٥ – ٥٥١)(٥٣)

هو أبو الحسين (٥٤) عبدالملك بن محمد بن هشام بن سعد، بن الطلاء

(٤٨) – فهرسة ابن خير الاشبيلي ، ص ١٨١ ط مدريد .
(٤٩) – فهرسة ابن خير ، ص ١٦٦ .
(٥٠) – فهرسة ابن خير ، ص ١٧٩ ط مدريد .
(٥١) – فهرسة ابن خير ، ص ١٦٦ ط مدريد .
(٥٢) – فهرسة ابن خير ، ص ١٨٢ ط مدريد .
(٥٣) – انظر ترجمته في « الصلة » لابن بشكوال ٤٤٦ ت ٩٧٢ ط مدريد – « بغية الملتمس» ص ٣٢١ ترجمة ١٠٥٥ – « الذيل والتكملة » لابن عبدالملك ص ٤٢/٥ – ٤٤ معجم اصحاب ابي علي الصدفي لابن الأبار ٢٥١ ترجمة ٢٣٢ – وفي التكملة له ٦١٤ ترجمة ١٧١٥ .

الشلبي(٥٥) القيسي المجد، الحافظ المتسع الرواية الضابط المتقن، البصير بالحديث والمنوه عنه بآخر علماء الحديث من غرب الأندلس ، الوافر الحظ من علوم اللسان ، استقضي وشوور ، وخطب . روى ببلده شلب عن أبي عبدالله بن شبرين، وعنه أخذ علم الكلام وأصول الفقه ، كما حذق عليه معرفة اللغة والأدب وعلم اللسان ، والأنساب والمشاركة في علم الاعتقادات وأصول الديانات ، وباشبيليه عن أبي الحسن الأخضر ، واختلف اليه كثيراً في علوم اللسان وعليه معوله ، وأبي الحسن شريح بن محمد، وجماعة. ورحل الى أبي علي الصدفي فسمع منه الصدفي . وله رواية عن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد الباجي، وأبي عبدالله الخولاني، وجماعة من أهل مرسية أيضاً . وسمع من أهل المشرق جماعة، منهم قرين أبي بكر الخطيب أبو الفضـــل بن خيرون ، وأبو بكر الطرطوشي ، وأبو الطاهر السلفي ، وغيرهم من أعلام هذه الطبقة .

وأخذ عنه جماعة من جلة الشيوخ في طليعتهم أبو بكر بن خير صاحب الفهرسة الآتي ذكره . كما حصل على اجازات مغربية ومشرقية متعددة ، فمن الأندلس أجاز له أبو الاصبغ عبدالعزيز الحضرمي الميروقي ، وأبو بكر الطرطوشي نزيل الاسكندرية. وأبو الحسن شريح ، وابن الطلاع . ومن المشارقة : أبو الحسن بن الأنماطي ، وأبو طاهر السلفي ، وأبو الفضل بن خيرون الذي أجازه إجازة عامة . وبحكم هذه الإجازة العامة التي حدث بها يكون إسناده متساوياً مع أبي علي الصدفي المعرف به قبل . فهو يروي بالإجازة من مصنفات الخطيب كل ما رواه به أبو علي الصدفي منها ، وبذلك يكون أوفر المترجمين حظاً من رواية مصنفات أبي بكر الخطيب .

---

(٥٥) – كان أبوه يطلي اللجم وغيرها بالفضة، فنسب الى ذلك (التكملة لابن الأبار) ترجمه في الصلة ٣٤٦/١ الترجمة رقم ٧٥٠ ط مدريد – وانظر فهرسة ابن خير ، ١٨١ – ١٨٢ – معجم أصحاب الصدفي ، ص ٢٣٥ الترجمة ٢١٥ ط مدريد – بغيه الملتمس ٣٣٥ الترجمة ١٠٣١ ط مدريد .

وممن روى بالأجازة عن أصحاب أبي بكر الخطيب ، وبالسماع من تلامذة أصحابه :

ابـن غشـليان

(- ٥٤١ هـ)

أبو الحكم عبد الرحمن بن غشليان بن عبد الملك بن غشليان الأنصاري : من أهل سرقسطة ، وسكن قرطبة . وعرف بالذكاء والمعرفة واليقظة ، روى عن جماعة من الأندلسيين ، وتدبج مع الشيخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشـكوال صاحب الصـلة ، وأجاز لـه جماعة من علماء المشـرق ، وأخذ الناس عنـه .

روى إجازة عن الحميدي قرين الخطيب عن الخطيب كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » . وروى إجازة عن تلميذي الخطيب أبي بكر بن عبد الباقي وأبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون إجازة أيضاً عن أبي بكر الخطيب : كتاب شرف أصـحاب الحديث ثلاثة أجـزاء ، وكتاب تقييد العلم ، وكتاب الرحلة في طلب العـلم . وكتاب أسماء من روى عن مالك بن أنس مبوباً على حروف المعجم من تأليف أبي بكر .

وحدثه بها القاضي أبو بكر بن العربي عن أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج عن أبي بكر الخطيب .

وممن يروي مصنفات الخطيب سماعاً تارةً بواسطتين وتارةً بثلاث ، ويرويها أيضاً إجازة بواسطتين :

الامام الحافظ ابو بكر محمد بن(٥٦) خير

(٥٠٢ – ٥٧٥ هـ)

وهو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة مولى ابراهيم بن محمد ابن يعمور اللمتوني الأموي كما كان ينتسب . لازم أبا الحسن شريح بن محمد ، واختص به الى وفاته ، وعنده برع في الإقـراء ، وبذلك عد في المقرئين المجودين ؛ سمع منه ومن أبي بكر بن العربي ومن طبقته ، ولقي بقرطبة أبا الحسين بن الطلاء السابق ذكره ، وجماعة من هذه الطبقة التي يعزى اليها تبريزه في اللغة والنحو والأدب .

كما أجاز له من أعلام الأندلس ابن موهب السابق ذكره ، وأبو محمد ابن عتاب . والرشاطي . ومن المشرق أبو طاهر السلفي ، وأبو عبدالله المازري . وقد امتاز بالإكثار من السماع ،والتبحر في الرواية ، وتقييد الآثار ، فعني بالأخذ حتى عن أصحابه الذين شاركهم في السماع ، واستوعب فهرسته المشهور نيفاً ومئة رجل . وهذا أصل ما سنلحظه بعد لحظات من تنوع روايته عن الخطيب البغدادي رحمهما الله .

كما امتاز في تقييده وروايته بالضبط والإتقان . حتى قيل : « انه لم يكن له نظير في هذا الشأن » . وبهذا عرف واشتهر . فتغالى(٥٧) الناس بعـد موته في اقتناء كتبه . وتوفي رحمه الله بقرطبة سنة خمس وسبعين وخمس مئة .

ويروي أبو بكر بن خير عن أبي بكر بن العربي عن أبي محمد جعفر ابن أحمد السراج (تلميذ الخطيب المتقدم ذكره في حاشية سابقة) عن الخطيب :

---

(٥٦) – أنظر ترجمته في : التكملة لابن الأبار تحت رقم ٧٨٠ – تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣٦٦/٤ – طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٨٣ تحقيق محمد علي عمر

(٥٧) – توجد بمكتبة القرويين بفاس نسخة من صحيح مسلم التي قابلها ابن خير مراراً،وسمع فيها وأسمع ، وبها تعد أعظم أصل موجود من صحيح مسلم في افريقية ، وعليها طرود وفوائد وشروح .

شرف أصحاب الحديث – تقييد العلم – الرحلة في طلب الحديث – كتاب أسماء من روى عن مالك بن أنس مدوناً على حروف المعجم(٥٨) .

ويرويها أيضاً عن أبي الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام (المتقدم الذكر) عن أبي علي الصدفي عن تلميذي الخطيب أبي بكر بن عبد الباقي بن منصور وأبي الفضل بن خيرون عن الخطيب(٥٩) .

ويرويها إجازة عن أبي الحكم بن غشليان عن ابن عبد الباقي وابن خيرون المذكورين إجازة عن الخطيب .

ويروي عن ابن موهب الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله عن القاضي الباجي عن الخطيب : الفصل للوصل – المكمل في بيان المهمل(٦٠) .

ويروى عن الشيخ أبي الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام عن أبي علي الصدفي عن القاضي الحميدي عن الخطيب : كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

ويرويه إجازة عن أبي الحكم بن غشليان عن الحميدي إجازة أيضاً عن الخطيب .

ويروي عن أبي الحسن علي بن عبد الله بن موهب عن الباجي عن الخطيب: كتاب الموضح لأوهام أبي عبد الله البخاري في التاريخ الكبير(٦١) .

ويروي عن القاضي أبي بكر بن العربي عن أبي محمد السراج عن الخطيب جزءاً فيه النصيحة لأهل الحديث فيه الرسالة في الإجازة المجهولة وتنويعها وانقسامها(٦٢) .

---

(٥٨) – فهرسة ابن خير ، ص ١٨١ – غاية النهاية ١٣٩/٢ الترجمة رقم ٢٩٩٨ .
(٥٩) – فهرسة ابن خير ، ص ١٨١ ط مدريد .
(٦٠) – فهرسة ابن خير ، ص ١٨٢ ط مدريد .
(٦١) – فهرسة ابن خير ، ص ٢٢٤ .
(٦٢) – فهرسة ابن خير ، ص ٢٢٦ .

ويروي الاجازة المجهولة أيضاً(٦٣) وذلك بالإجازة عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن وضاح الآتي الذكر عن أبي زكريا بن شبل قراءة عليه بالاسكندرية سنة ٥١١ قراءة على الخطيب بمدينة (صور) ، ويروي إجازة عن ابن موهب ، إجازة عن الباجي عن أبي بكر الخطيب : كتاب « تقييد العلم » ، و « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » ، و « شرف المحدثين » (فهرسة ابن خير ٢٦٠ — ٢٦١) .

ومن أشهر وألمع رواة مصنفات الحافظ الخطيب عن تلامذته ثم عن تلامذة تلامذته أيضاً ، علم المغرب الأشهر :

شيخ الاسلام حافظ المذهب المالكي
القاضي أبو الفضل عياض اليَحْصُبِيّ
(٤٩٦ — ٥٤٤هـ)(٦٤)

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو (أو عمرون) بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض . كان منزل آبائه بالأندلس

---

(٦٣) — فهرسة ابن خير ، ص ٢٢٦

(٦٤) — اليحصبي نسبة الى يحصب القبيلة اليمنية ، خصه بكتاب في ترجمته كل من المقرى صاحب « النفح » بكتابه « أزهار الرياض » في خمسة أسفار ،وهو مطبوع بالرباط ، كما أفرد جزءاً لترجمته ولده القاضي أبو عبدالله،وهو المعروف بكتاب « التعريف » الذي طبع أخيراً بالرباط بتحقيق وتقديم الأستاذ الكبير محمد بن شريفة ، كما خصه بالتأليف مسند أفريقية محمد بن جابر الوادياشي التونسي ، وترجمته أيضاً في « الصلة » لابن بشكوال ج ٤٤٦/٢ ترجمة ٩٧٢ ط مدريد، وفي « بغية الملتمس » رقم الترجمة ١٢٩٦ — « قلائد العقيان » لابن خاقان ص ٢٥٥ وما بعدها طبع تونس — معجم أصحاب أبي علي الصدفي ص ٢٩٤ ط مدريد — « جذوة الاقتباس » لابن القاضي ٤٩٨/٢ المطبعة الملكية بالرباط — الديباج لابن فرحون ص ١٦٨ مطبعة السعادة — « الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام » لقاضي مراكش ومؤرخها المرحوم عباس بن ابراهيم السملالي ٣١٩/٩ = ٣٩٧ (المطبعة الملكية بالرباط) — « اظهار الكمال »

بجهة (بسطة)(٦٥)، ومنها انتقلوا الى فاس،ثم الى مدينة سبتة ، وكان لهم استقرار بالقيروان قبل أو بعد نزولهم بالأندلس .

وبسبتة ولد ست وسبعين وأربع مئة ، وسبتة يومئذ معبر الغادين والرائحين من الأعلام بين الأندلس وبين عدوة المغرب والقيروان ، وبسبتة اكتملت ثقافته قبل أن يغادرها الى الأندلس لمجرد الحرص على التأكد من سلامة النقل وإكمال منهجه بالتوسع في الرواية ولقاء الشيوخ ، فلم يكن به من حاجة الى الرحلة في طلب العلم بالمشرق(٦٦) بعد امتلاء عَيْبَتِه وكظة وطابه بجماع معارف عصره ، فشيوخ عياض الذين استوعبتهم فهرسته « الغنية » يقاربون المئة ، منهم : ابن العربي المعافري (كما أشير اليه سابقاً) ، وأبو بكر بن عطية —

= ص ٨٣ وما بعدها (طبعة حجرية) — السعادة الأبدية لابن الموقت ج الأول ص ٧٧ ط حجر — فهرس الفهارس ج ٢ ص ١٨٣ — الاحاطة لابن الخطيب ج ٢٢٢/٤ تحقيق عبدالله عنان — تذكرة الحفاظ المجلد الثاني ج ١٣٠٥/٤ — « وفيات الأعيان » ج ٤٨٣/٣ تحقيق الدكتور احسان عباس — « روضات الجنات » ص ٥٠٦ — « الوافي بالوفيات » ج ٥ مجلد ٣ ورقة ٥٩٦ خ — « النجوم الزاهرة » ج ٢٨٥/٥ . ط المؤسسة المصرية العامة وقد ذكره غير ما واحد من أصحاب التراجم والمؤرخين من مشارقة ومغاربة كالشعراني في الطبقات ، وأبي الحسن الحريشي في « فتح الفياض » وهو شرحه على الشفا للقاضي عياض،وابن مريدة المراكشي في « الكواكب السيارة في الحث على الزيارة » كما فسحت له الفهارس المغربية والمشرقية في صفحاتها ، كفهرسة الشهاب العجمي،وفهرسة الشيخ ابن الحسن بناني ، و« ثبت » الشيخ الأمير ، والشمس القاوقجي في أوائله ، وغيرها — أصدرت مجلة « المناهل » التي تصدرها وزارة الثقافة المغربية عددها (١٩) خاصا بالقاضي عياض ، كما أن هذه الوزارة أقامت له ندوة حوله ألقيت فيها بحوث متنوعة وهي قيد الطبع الآن .

(٦٥) — بسطة في الشمال الشرقي من مدينة غرناطة ، على بعد ١٢٣ كلم .

(٦٦) — قد نقع على بعض المصادر الأندلسية التي تقول : رحل الى الشرق،ولكن هذا انما يعني عندهم شرق الأندلس حيث أم مرسية في أثناء غيبة شيخه الإمام أبي علي الصدفي عنها فراراً من ولاية القضاء ، وهذا الاصطلاح الأندلسي في مفهوم كلمة الشرق قد انجر الى مؤرخي الأندلس من فقرة المؤرخ الرازي حين قال : « والأندلس أندلسان شرق وغرب حتى انهم في مقدمات تواريخهم الجغرافية يستعيرون نفس الفقرة بحروفها » .

الآتي ذكره – على أن شهرته العلمية قد أظفرته بشيوخ مشارقة ، فكتب اليه من القاهرة أبو نصر النهاوندي ، وأبو بكر الطرطوشي ، وأبو طاهر السلفي ، ومن المهدية أبو عبدالله المازري ، وغيرهم .

وإن ما تزخر به كتبه من فيض العلوم والتفنن في الآداب والتجمل بمحمود الخلال ثم انطلاق التنويه به(٦٧) والإعجاب بآثاره من المشرق والمغرب على السواء ، يغري الباحث بالالتفات الى شبه كبير بينه وبين الحافظ أبي بكر الخطيب الذي ظفر بنعوت الكمال في علمه وأوصاف الجلال ما هو قمين به .

لقد قيل عن عياض : لولا عياض ما ذكر المغرب .

وقيل في أبي بكر الخطيب : ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من الخطيب .

ولعل هذا أيسر الكثير الذي قيل في حقهما ، فلا حاجة الى مزيد .

وإن التشابه في محصولهما العلمي ليماثل تشابههما الخلقي ، والإنساني ، والجمالي . فاذا كان الخطيب البغدادي يثب الى أذهاننا في زينة حسن سمته الذي كان – كما قيل – في درجة الكمال ، والرتبة العليا خلقا وهيأة ومنظراً ، فالقاضي أبو الفضل عياض قائم في خيالنا وهو ماض الى تدريس الحديث متجملا بأحسن الثياب . ومتضمخاً بنفحات الطيب . واذا كان أبو بكر الخطيب قد خلف في وصيته مجموعة من الألبسة ، لتباع ويوزع ثمنها على طلاب الحديث . فالمعروف عن أبي الفضل عياض أنه كان كجده يغدق الكثير على ذوي الخصاصة وعلى طلاب العلم .

(٦٧) – أنظر في فهرس الفهارس للكتاني جملة من شهادات أعلام المشرق له : كالذهبي ، وابن خلكان ، وابن صعد صاحب النجم الثاقب ، والسخاوي ، وانظر تنويهات المغاربة بعلمه في فهرسته « الغنية »، وفي كتاب التعريف لولده ، وفي المقدمة التي استهل بها المرحوم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي تحقيقه لكتاب « ترتيب المدارك » .

والتشابه بينهما يبدو أشد وضوحاً في محصـــول معرفتهما ، فالإمامة معقودة لهما في الحديث وعلومه ، وفي الفقه وأصـــوله ، وفي التـــاريخ ، وفي اللغة والأدب ، وقرض الشعر ، وترسيل النثر ، وفي منهاجية التأليف القائمة على الإتقان ، والترتيب والتبويب والعرض البديع والبيان والتبيين .

لقد أضفي على أبي الفضل عياض لقب حافظ المذهب المالكي ، وفي الحديث جمع الكثير ، وصنف غير ما كتاب في علومه ، وانزوى في كسر بيته السنين لتصنيف « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » فحمله الناس عنه ، ولم ينازعه أحد في الانفـــراد به ، ولا أنكروا السبق اليه ، وصـــارت نسخه شرقاً وغرباً ، وتشوف أهل الآفاق للوقوف عليه ، وتعدد شـــراحه مشرقاً ومغرباً(٦٨) ، وأفردت أحاديثه المسندة — وهي ستون — بالتأليف ، ورواه عنه خلق ، وأدى السند اليه الرحالة ابن جبير الى المشرق فنفق ، فهو المرجع في آفاق الإسلام لكل من أراد رواية الكتب الستة من طريق مؤلفه عياض ، ولا يقل كتابه « مشارق الأنوار »(٦٩) نفاسة وشهرة ، وهو الذي نوه به أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري شـــعراً ، وأيسر ما قيـــل فيه نثراً : لو كتب بالذهب أو الجوهر لكان قليلا ، ومن أهمها — وهو مطبوع(٧٠) كسابقيه — « الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع » .

---

(٦٨) — أنظر في كشف الظنون (٦٢/٢) أسماء بعض من شرحه من أعلام المشرق ، ومن أنفس الشروح المغربية « مفتاح الشفا » للحافظ أبي زيد عبدالرحمن بن شيخ الإسلام عبدالقادر الفاسي .

(٦٩) — طبعت ملزمة منه قديماً في عهد السلطان مولاي عبدالحفيظ ثم طبع الجزء الأول منه مؤخراً بعناية وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية .

(٧٠) — حققه وقدم له الأستاذ صقر — دار التراث القاهرة ، وقد قلده أبو عمرو بن الصلاح ، وأغار عليه ، كما استقى منه السيوطي ، والزركشي ، والبلقيني ، وابن جماعة ، والسخاوي ، وغيرهم .

ويتجلى في أكثر كتبه تبحره في اللغة حين تصديه لشرح الأحاديث ، وفي كتابه « بغية الرائد » في « شرح حديث أمّ زرع »،وهو من المطبوعات أيضاً بالرباط.وفيه قال الحافظ ابن حجر في الفتح : إنه أجمع الشروح وأوسعها ، ومنه أخذ غالب الشراح بعده .

وتتصدر مصنفات أبي الفضل عياض آثاره التاريخية ، فقد دون في فرع تاريخ المدينة ، وتاريخ الدولة ، وتاريخ الرجال(٧١) .

ومادة الأدب ماثلة في كتابه « بغية الرائد » المذكور،ويعرضه علينا باذخ الغنى في متن اللغة وشواردها .

وكل منهما خطب بالمساجد الجامعة ، وقد حفظت للقاضي عياض خطب من هذا القبيل مطرزة ببيانه البديع .

وكل منهما رويت له نتف ومقطعات من الشعر الذي يختلف ببداعته عن شعر الفقهاء والمحدثين .

وكل منهما سارت بذكر بعض مؤلفاته الأشعار .

وكل منهما ناظر المخالفين . فقد ناقش القاضي عياض في كتبه المعتزلة ، والفلاسفة ، والخوارج ، كما هو ماثل في كتابه « الشفا » .

وتجمع بينهما أيضاً نحلة أشعرية سدت باعتدالها عند الخطيب في الأخذ بالعقل مسد تحكيم العقل عند المعتزلة الذين خفتت أصواتهم على عهده ،

---

(٧١) – من جملة آثاره التاريخية « كتاب التاريخ ». وهكذا سماه مؤلفه عياض في ترجمة عبدالله بن ياسين ، وسماه الذهبي جامع التاريخ وقال : « انه أربى على جميع المؤلفات » ، وهو مفقود ، وله « العيون أو الفنون الستة في أخبار سبتة » ويقال إنه في مجلدات ، وله « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » وقد صدر منه خمسة أجزاء بعناية وزارة الأوقاف بالرباط .

وكانت بالنسبة الى أبي الفضل عياض اتجاهاً رائداً في المغرب على عهد المرابطين وهو اتجاه ماثل بوضوح في آثاره ، وفي آثار شيوخه الذين أخذ عنهم بسبتة(٧٢) .

ولعل أوجه الشبه هذه لم تخف على أبي الفضل عياض وهو يطلع على آثاره ، فنراه يعتمده بتقدير ، وقد ذكره في مقدمة كتابه « المدارك » بين من اعتمد عليهم من المشارقة في تأليفه « جمهرة رواة مالك »،ولم يفصح عياض عن أسماء كتب من سماهم مع الخطيب ، والواضح من موضوع التأليف الذي هو استيعاب الرواة عن مالك أنه يعني بالنسبة الى الخطيب كتابه في « من روى عن مالك » وهو من مرويات الأندلسيين .

وكذلك أورد القاضي اسم الخطيب باعتداد في مقدمة كتابه المذكور عندما سجل أسماء كبار المصنفات الحديثية والتاريخية التي استصفاها ، ويستفاد منه أنه وقع له بعض من تاريخ بغداد .

وعندما استعرض القاضي في مقدمة « المدارك » أوهام بعض كبار المحدثين الفقهاء من أندلسيين ومشارقة ، وجلب أمثلة من أوهام بعض كبار المحدثين والفقهاء قال : « وكذلك ذكر أبو بكر الخطيب على تقدمه وحفظه عبدَالملك ابن حبيب في الرواة عن مالك ، وأدخل له حديثاً من المعنعن عنه ، وهو غلط عظيم ، لاسيما من مثله ، وعبدالملك بن حبيب انما رحل سنة ثمان ومئتين بعد مالك بنحو ثلاثين سنة ، وإنما ولد بعد موت مالك بسنتين » .

(٧٢) – ان الرجوع الى نصوص كتب شيوخه والى كتبه يدل دلالة واضحة على أن كتب الأشعرية في علم الكلام كانت متدارسة في أنحاء المغرب ، والأشعرية راسخة ، وهذا ما يرد قول أكثرية المؤرخين – وفي طليعتهم ابن خلدون – الذين سجلوا على علماء المغرب على عهد المرابطين تعلقهم بالنقل واستدبارهم النظر بالعقل ، فلم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر ، وان التجسيم كان غالبا عليهم في الاعتقاد الى أن جاء المهدي بن تومرت بعقيدة التوحيد . انظر مقدمة المرحوم ابن تاويت التي استهل بها تحقيقه لكتاب « المدارك » ، وانظر رأي ابن خلدون المشار اليه في تاريخه « العبر » ج ٦/٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٦٦ .

وقد اقتبس القاضي عياض في « الإلماع »(٧٣) من مصنفات أبي بكر الخطيب عن شيوخه ، وبمقابلة اقتباساته في كتابه « الإلماع » بما جاء في « الغنية » يمكن سوق مصنفات الخطيب التي رواها عياض على هذا الوجه :

روى عن شيوخه عن الخطيب ، ومن هؤلاء الشيوخ : أبو عبدالله بن قطري الزبيدي الاشبيلي المتقدم الذكر ، سمع منه فصولاً ، وحدثه بكتابي « المؤتنف من المؤتلف والمختلف » و « الفقيه المتفقه »،وساق عياض جملة أشعار وأخبار مما حدثه به شيخه عن الخطيب .

ومن شيوخه أيضاً أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن عبدالله الربعي المقدسي الشافعي(٧٤) ، وللقاضي عياض من هذا الشيخ إجازة بما روى ، منها إجازته إياه بجميع كتب الخطيب ورواياته التي أجازه الخطيب بها ومنها ما سمعه عليه .

وفي شيوخ عياض طبقة روت عن أصحاب الخطيب، كعبدالملك بن أبي مسلم (٧٥) الذي سمع من أبي بكر بن عبدالباقي بن الخاضبة الأنصاري صاحب الخطيب ، وقد أجاز ابن أبي مسلم هذا القاضي عياضاً بجميع رواياته ، ومن بينها — كما هو واضح — مصنفات الخطيب .

ومن هذه الطبقة أيضاً من شيوخه حافظ المغرب ومفخرته أبو بكر بن العربي الذي روى عن ابن الطيوري وأبي محمد بن السراج ، كلاهما عن الخطيب .

وكأبي علي الصدفي عن أبي منصور المالكي عن الخطيب .

---

(٧٣) ص ٢٣٥ ، ٢٤٥ — ص ٦٤ .

(٧٤) ترجمته في « الغنية » ٢٤٦ .

(٧٥) « الغنية » ص ٢٣٦ .

ومن الآخذين بالإجازة مصنفات الحافظ أبي بكر الخطيب :

الامام القاضي عبدالحق بن عطية

(٤٨١ ـ سنة ٥٤١)(٧٦)

الإمام الفقيه المشاور أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحيم بن غالب ابن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي . وعطية المنسوب اليه هو الجد الداخل الى الأندلس ، من أسرة أصيلة في العلم ، وأحد رجالات الأندلس الجامعين الى الفقه والحديث ، التفسير والأدب والشعر(٧٧) ، ويعدّ في الصدور من رجال الحديث والتفسير والأحكام . أكثر أخذه عن أبيه غالب . كانت له رحلة ، لقي فيها أبا القاسم بن الجلاب ، وحمل عنه كتاب التفريع . وأجازه أبو علي الصدفي،ثم لقيه بمرسية ، وحمل عنه كتاب التفريع ، كما لقي أبا علي الغساني بغرناطة سنة خمس وتسعين وأربع مئة وهو يومئذ صغير السن ، فاستجازه ، وسمع منه ألفاظاً في اللغة وأبياتاً في الشعر.وكان ممن اختص به بعد أبيه مثلما اختص بأبي علي البادش ، ولي القضاء بالمرية في آخر دولة المرابطين ، وكان يكثر الغزوات في جيوشهم .

---

(٧٦) أشار ابن بشكوال في صلته الى اختلاف في سنة وفاته بين سنة احدى وخمسين واثنتين وخمسين ، وجملة المتأخرين كصاحب « شجرة النور الزكية » وصاحب فهرس الفهارس وصاحب « الديباج » الى ترجيح سنة احدى وأربعين وخمسمئة،وبه قال ابن حيان في مقدمة تفسيره- انظر ترجمته في بغية الملتمس ص : ٣٧٦ - « الصلة » لابن بشكوال تحت الترجمة ٨٢٥ ط . مدريد – « قلائد العقيان » ص ١٣٧ ط باريز – « المرقبة العليا » ص : ١٠٩- معجم أبي علي الصدفي : ٢٥٩ – رايات المبرزين ص : ٥٤ ط . مدريد – « نفح الطيب » ٥٢٦/٢ – الاحاطة . . . . . وفيات ابن قنفد : ٢٦٣ – « الديباج » . . . . . فهرس الفهارس : ٢٣٤/٢ – مقدمة تفسير ابن حيان – « شجرة النور الزكية » ص : ١٢٩/١ طبقات المفسرين للداوودي ٢٦٠/١ – « طبقات المفسرين » للسيوطي : ١٦ .

(٧٧) وفي « قلائد العقيان » قصائد ومقطعات من شعره ، وكذلك في « نفح الطيب » وغيره من مصادر ترجمته .

توفي بلورقة مصدوداً عن دخول « مرسية » صدر الفتنة المبيرة ، وقد كان قاصداً صهره عبدالرحمن بن طاهر الذي كان يومئذ رئيسها .

وقد اشتهر ببرنامج شيوخه وبتفسيره الجليل المعروف بالوجيز (٧٨) .

كتب اليه (كما ذكر في فهرسته) الفقيه الجليل المهيب شيخ الصدق أبو عبدالله الحضرمي(٧٩) ، الساكن بالإسكندرية إجازة بخطه ، خاصة في رواية الشيخ أبي محمد عبدالله بن الوليد الأندلسي نزيل مصر ، وتواليف الشيخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ورواياته ، وبعدما ذكر في فهرسته المصنفات التي أجازه بها الحضرمي قال : و « تاريخ بغداد » ، و « شرف المحدثين » ، و « رحلة الحديث » ، و « كتاب الفصل » ، و « كتاب تقييد العلم » ، جميعها من تأليف أبي بكر بن ثابت الخطيب ، أخبرني بها عنه وبجميع تواليفه ورواياته .

ومن الذين رووا مصنفات الخطيب :

الامام الراوية المحدث الرحال أبو القاسم التجيبي السبتي(٨٠)

(هـ ـ ٧٣٠ هـ)

وهو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي بن القاسم التجيبي الضابط المحقق المشهور ببرنامجه العظيم في مشيخته ، وبرحلته المشرقية المسماة « مستفاد الرحلة

(٧٨) طبع تفسيره مؤخراً على يد وزارة الأوقاف بالرباط باشارة من صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب ، كما طبع برنامج شيوخه في دار الغرب الاسلامي ببيروت بتحقيق الأستاذ محمد أبي الأجفان ومحمد الزاهي .

(٧٩) هو محمد بن منصور بن محمد بن الفضل الحضرمي الاسكندرى ، مقرئ . قرأ على أحمد ابن نفيس ، وقرأ عليه لورش أحمد بن الحطيئة ، وقال الذهبي : وهو جد محمد بن عبد الرحمن الحضرمي ، ورخ وفاته مفضل المقدسي سنة عشر وخمسمئة ، أنظر ترجمته في « غاية النهاية » لابن الجزري ٢٦٦/٢ الترجمة ٣٤٨٥ .

(٨٠) أنظر ترجمته في « نيل الابتهاج » لأحمد بابا التانبكتي ضمن ترجمة سميه القاسم بن أبي بكر بن مسافر اليمني التونسي ص ٢٢٢ ط السعادة . « اختصار الأخبار مما بثغر سبته من سني الآثار » ط المطبعة الملكية بالرباط – الدرر الكامنة ٢٤٠/٣ – فهرس الفهارس ج الأول ، ص . ١٩١ .

والاغتراب ».وقد وقف ابن حجر عليها فقال إنها في ثلاث مجلدات ضخمة ، والقسم المعروف منها (٨١) يدل على صنيعه فيها ، فبالإضافة الى ذكر الشيوخ والترجمة لهم بتفصيل مع بسط جميع ما تلقاه عنهم قراءة أو إجازة ، فهو يعني في هذا القسم بوصف طريق الحج من « قوص » الى « عيذاب »،ويتحدث عن كل ما يصادفه في طريقه من مدن ، وقبائل ، ويشير الى أحوالها ، والحكم فيها ، وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة . ويبتدىء هذا الجز بذكر مدينة القاهرة المعزية ، ومن رجالها الذين ترجم لهم عبدالمؤمن الدمياطي،وابن دقيق العيد.وممن لقيهم بمكة وترجم لهم أبو اسحاق ابراهيم الطبري(٨٢) . قرأ التجيبي عليه بالمسجد الحرام أمام الكعبة المشرفة جزءاً فيه مسألة « الإجازة للمجهول والمعلوم » وذلك بحق إجازته وبسنده بالإجازة الى أبي المعالي الفضل بن سهل ابن بشر الاسفرايني (٨٣) بإجازته من مصنفه الخطيب(٨٤) .

وسمع بمكة الشمس أبا عبدالله الجياني (٨٥) ومما سمع عنه من مصنفات أبي بكر الخطيب : كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » ،

(٨١) لم يطبع منها غير قسم من الجزء الثاني مع بتر في أوله،بتحقيق الأستاذ عبد الحفيظ منصور (الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس) .

(٨٢) هو كما قال عنه التجيبي في الرحلة الشيخ الفقيه الزاهد العابد العالم العامل أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن محمد بن ابراهيم الطبري المحتد ، المكي الدار والمنشأ والمولد ، المنعوث بالرضي وبالبرهان ، مفتي أصحاب الإمام الشافعي ، حدث وسمع منه أكثر ماعنده ، وسمع العالي والنازل .

(٨٣) هو المسند الفضل بن المحدث سهل بن بكر الاسفرايني ثم الدمشقي الملقب « بالأثير » ، ذكره في « تذكرة الحفاظ » ص ١٣١٣ ضمن المتوفين سنة ٥٤٨هـ .

(٨٤) مستفاد الرحلة والاغتراب ٣٩١ .

(٨٥) وهو الشيخ الفقيه الإمام الفاضل أبو عبد الله محمد بن غالب بن يونس بن غالب بن محمد ابن شعبة الشافعي الأنصاري الأندلسي الجياني ، المتوفى سنة اثنتين وسبع مئة . أنظر « مستفاد الرحلة » ص . ٤٣٧ – « الدرر الكامنة » ٤ — ١٣٣ .

وسمعه الجياني على الشيخ المسنِد تقي الدين(٨٦) أبي محمد اسماعيل بن ابراهيم التنوخي بأسانيده الى الخطيب .

ومن المتأخرين المسندين الذين اتصلت أسانيدهم المغربية برواة مصنفات الخطيب :

ابن سليمان الروداني

(١٠٣٧ – ١٠٤٩هـ)(٨٧)

وهو الإمام الجليل المحدث الفرد في العلوم كلها محمد بن محمد بن سليمان ابن الفامي (اسم لا نسب لبني الجد الفهريين المعروفين بالفاسيين) المراكشي المسفيوي من أهل تارودانت – الروداني نسبة الى تارودانت(٨٨) ، نزيل الحرمين الشريفين المتوفى سنة ١٠٩٤هـ . قرأ بالمغرب على جلّة العلماء الكبار كقاضي القضاة مفتي مراكش الشهير أبي مهدي عيسى السكاني،وعلى العلامة محمد بن سعيد المرغيتي (صاحب المقنع)،وعلى محمد (بالفتح) بن أبي بكر الدلائي،وسعيد بن ابراهيم المعروف بقدّورة ، ولازم طوال أربعة أعوام أبا عبدالله محمد بن ناصر الدرعي (ت ١٠٨٤) صاحب زاوية تامكروت(٨٩) ومؤسسها . في دراسة التفسير والفقه والتصوف ، وبه تخرج .

---

(٨٦) لقبه الذهبي بكبير المحدثين ، أنظر « تذكرة الحافظ » ضمن وفيات سنة ٦٧٢/ص . ١٤٩٠ .

(٨٧) أنظر ترجمته في « رحلة العياشي » ٢ / ٣٠ – ٤٦ – الإعلام بمن بمراكش وأغمات من الأعلام للمراكشي العلامة عباس بن ابراهيم السملالي ط أولى المطبعة الجديدة فاس – فهرس الفهارس للكتاني ٣١٧/١ – ٣٢١ – خلاصة الاثر للمحبي ٢٠٤/٤ ط الوهبية مصر .

(٨٨) تارودانت بتاء مثناة بعدها ألف ثم راء مضمومة بواو ثم دال مهملة فنون ساكنة : قرية بالسوس الأقصى .

(٨٩) تامكروت بالكاف المعقودة باقليم ورزازات : مقاطعة زاكورة بالكاف المعقودة، وبها المكتبة الشهيرة الحافلة بالمخطوطات النادرة .

ورحل الى المشرق ودخل مصر ، وأخذ عن جلة علمائها كالشيخ علي الأجهوري شارح المختصر بثلاثة شروح ، والخفاجي شارح « الشفا » للقاضي عياض ، وإمام المقرئين الشيخ سلطان . وتوجه الى « الروم » – وهي تركية عند المؤرخين المغاربة والمشارقة – وعرّج على الرملة ، وأخذ بها عن شيخ الحنفية خيرالدين الرملي ، كما أخذ بدمشق عن نقيب الشام وعالمها السيد محمد ابن حمزة . ثم رجع الى مكة، وحصلت له بها الرئاسة العظيمة التي لم يعهد مثلها، ففوض اليه النظر في أمور الحرمين ، ونيطت به الأمور العامة والخاصة .

من مؤلفاته : « تخليص التلخيص في مختصره في المعاني » ، وكتاب « جمع الفوائد من جامع الأصول وجامع الزوائد » وهو مطبوع ؛ و« مختصر التحرير » لابن الهمام، و«مختصر مفتاح العلوم» للسكاكي، و«منظومة في الميقات وشرحها » .

كما أن له برنامجه المشهور : « صلة الخلف بموصول السلف(٩٠) » .

وفيه حدّث بسنده المتصل بأبي أحمد عبدالكريم بن حمزة السلمي الحداد(٩١)، ومن طريقه يروي من كتب أبى بكر الخطيب : كتاب « شرف أصحاب الحديث » . ويروي « تاريخ بغداد » من طريق أبي منصور عبدالرحمن ابن محمد القزاز بن زريق الشيباني(٩٢) . ويروي كتاب الرحلة في طلب الحديث بسنده الى مسعود بن الحسن الثقفي الأصبهاني(٩٣) .

---

(٩٠) مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم ٥ ح .

(٩١) هو مسند الشام الثقة ، روى عن الحافظ الخطيب وعن ابي القاسم الحناني وأبي الحسين ابن مكي .

(٩٢) كما روى عن الحافظ الخطيب روى عن أبي جعفر بن المسلمة والكبار ، وكان كثير الرواية. انظر ترجمته في الشذرات ١٠٦/٤ .

(٩٣) توفي سنة ٥٦٢ . أنظر : شذرات الذهب ٢٠٦/٤ – تذكرة الحفظ ١٣١٩/٤ ضمن ترجمة تاج الإسلام أبي سعيد عبد الكريم السمعاني .

ويروي كتاب « الجامع لآداب الراوي والسامع » من طريق الحافظ أبي محمد بن الأكفاني (٩٤) .

ويروي جزءاً فيه صلاة التسبيح وما ورد فيها للخطيب من طريق عبدالكريم ابن حمزة السلمي السالف الذكر عن الخطيب .

وروى كتاب « روايات الصحابة عن التابعين » للخطيب ، من طريق هبة الله عبدالله الشروطي الواسطي عن الخطيب (٩٥) .

وروى من طريق هبة الله بن أحمد الشروطي الواسطي المتقدم الذكر كتاب « الزهد » ، وكتاب « السابق واللاحق » لأبي بكر الخطيب .

ومن المتأخرين المسندين الذين اتصلت أسانيدهم بمصنفات الخطيب :

الامام المشارك أبو عبدالله محمد (فتحا)
الفاسي بلداً ولقباً الفهري نسبا

(١٠٥٨ — هـ ١١٣٤) (٩٦)

من بني الجد الفهريين سلالة القاضي أبي بكر بن الجد الاشبيلي ، ومنه الى أمير الأندلس عبدالملك بن قطن . ومن حفدة الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي آخر الشاذلية بالمغرب . وجده المباشر الشيخ الإمام أبو السعادات عبدالقادر الفاسي دفين زاويته بفاس . فمترجمنا هو محمد بن الحافظ أبي زيد (صاحب

---

(٩٤) هبة الله بن أحمد بن محمد الأنصاري الدمشقي المتوفى سنة ٥٢٤ هـ . سمع من أبيه وطبقته . وكان ثقة شديدة العناية بالحديث والتاريخ ، انظر : « النجوم الزاهرة » ٥/٢٣٥ ط المؤسسة المصرية العامة ـ وتذكرة الحفاظ ١٢٧٥ — شذرات الذهب ٤/٧٣ .

(٩٥) يكنى أبا القاسم . روى عن الخطيب وابن المسلمة ، المتوفى سنة ٥٢٨ — انظر شذرات الذهب ٤/٨٦ .

(٩٦) أنظر مصادر ترجمته في نشر المثاني للقادري ج ٢ / ١٢٢ — صفوة من انتشر للمؤرخ الأديب محمد الصغير الأفراني المراكشي : ٢٢٦ ط حجرية فاس — التقاط الدرر للقادري خ الخزانة العامة رقم ٦٧٦ وعناية أولى المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد لأمير العلماء السلطان الجليل مولانا سليمان قدس روحه، ص ٥١ (المطبعة الجديدة فاس ١٢٤٧ هـ) - فهرس الفهارس ٢/٣٠ ، ط الأولى بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس .

الأقنوم(٩٧) ، « وابتهاج القلوب »،وغيرهما) ابن شيخ الإسلام عبد القادر الفاسي الفهري المذكور ،ويلقب مترجمنا بالصغير للفرق بينه وبين عمه محمد (فتحا) . ولد بفاس،وقرأ بحسب التقليد المعروف بالقراءات السبع ، وأدرك جده شيخ الإسلام فأخذ عنه كما أخذ عن أبيه أبي زيد عبدالرحمن،وعمه الشيخ أبي عبدالله محمد (فتحا) ، وغيره من أعلام أسرته . كما أخذ عن العلامة محمد ابن محمد المرابط بن أبي بكر الدلائي (نسبة الى زاوية الدلاء) ، والإمام المسناوي، وأبي عبدالله ميارة الصغير ، وأبي سالم العياشي صاحب الرحلة،وابن سليمان الرُّوداني المتقدم الذكر قبله . وأجازه بالمكاتبة من المشارقة :الزرقاني شارح مختصر خليل ، والخرشي شارحه أيضاً . والكوراني . والعجيمي .

وبهذا الاتساع في الأخذ تمت له المشاركة الكاملة في الأصلين،والمنطق، وعلوم اللسان ، والتفسير ، والتاريخ ، والأنساب ، والفرائض . والفلك .

وأخذ عنه جماعة من العلماء المعتبرين، كالشيخ محمد بن عبدالسلام بناني ، وحفدة عمه أبي القاسم محمد ، وغيرهم .

وقد خلف فهرسته المشهور المسمى « المنح البادية (٩٨) في الأسانيد العالية » اقتصر فيه على شيوخه الذين أجازوه بأسانيدهم العالية .

وذكر في القسم الثاني منه عند روايته للمؤلفات والمصنفات الحديثية أنه روى تأليف أبي بكر الخطيب البغدادي من طرق ثلاث :

---

(٩٧) الأقنوم ، موسوعة منظومة أتى فيها بنحو مئة وخمسين علماً مع تفصيل القول في موضوعاتها ، وهي فيما يظهر أقدم موسوعة منظومة من هذا النوع في تاريخ الفكر الإسلامي ، رتبها على طريقة تقسيم العلوم وتنويعها عند الأقدمين .

(٩٨) مخطوط الخزانة العامة (ع . ك . رقم ١٢٤٩ أول مجموع) .

الأولى طريق أبي علي الصدفي (ابن سكرة) عن القاضي أبي القاسم علي ابن محمد بن أحمد المحاملي ، وأبي بكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي ، وأبي منصور عبدالمحسن محمد (٩٩) بن علي ، كلهم عن الخطيب البغدادي .

والثانية طريق ابن طبرزد عن أبي منصور عبدالرحمن بن محمد القزاز (١٠٠)، عن أبي بكر الخطيب .

والثالثة طريق الحافظ الذهبي الى أبي بكر أحمد بن مهدي الحافظ ، عن أبي بكر الخطيب .

هذه جملة ما وقع إليَّ من رواة مصنفات الحافظ أبي بكر الخطيب من أهل العدوتين الأندلس والمغرب . والمعروف أن من هؤلاء المذكورين ومن غيرهم من روى من طريق أبي بكر الخطيب صحاحاً ، أو مصنفات ، أو أحاديث مفردة ، أو أشعاراً ، وهذا مما لا يدخل في نطاق مصنفاته أو مخرجاته التي قصدتها في هذه الورقات ، والله المستعان على أي حال .

---

(٩٩) الشيحي السفار المتوفى سنة ٤٨٩ هـ أنظر تذكرة الحفاظ ١٢٢٧/٤ ضمن ترجمة ابن الخاضبة .

(١٠٠) الشيباني البغدادي القزاز ، ويعرف بابن زريق ، وكما روى عن الخطيب روى عن أبي جعفر ابن المسلمة والكبار ، وكان كثير الرواية – أنظر ترجمته في الشذرات ١٠٦/٤ . وأما ابن طبرزد فهو أبو حفص موفق الدين عمر بن محمد بن معمر الدار قزى المؤدب مسند عصره (٥١٦ – ٦٠٧ هـ) – سمع من ابن الحصين وطبقته ، وروى الكثير . وسمع عليه من لا يحصى بدمشق . ثم رحل الى بغداد ، وبها توفي – العبر ٢٤/٥ ، الشذرات ٢٦/٥ .